الفصل الثانى

المنظـور الـقيمى والأخــلاقى

فى الإسلام كأحد مقومات البعث

أولاً: الجانب الأخلاقى ومضامينه فى الإسلام .

ثانياً: تصنيف مفصل للمنظومة الأخلاقية فى الإسلام

القسم الأول : أخلاق أساسية فى البناء الاجتماعى والعلائقى للمجتمع المسلم.

القسم الثانى : أخــلاق فرعيــة حميــدة، يجب على المسلم اتباعها والعمل بها.

القسم الثالث: أخلاق ذميمة، ينبغى اجتنابها والبعد عنها.

ثالثاً: دراسة تحليلية لقضية العمل فى الإســلام مــن منظور البناء والبعث.

رابعاً: الجانب القيمى والاجتماعى للمال فى الإسلام.

المنظور القيمى والأخلاقى فى الإسلام

المبحث الأول: الجانب الأخلاقى ومضامينه فى الإسلام

الأخلاق ركيزة أساسية فى بناء المجتمع المسلم وصلاحه، وهى عنصر فعال فى تقويم شئون الحياة وبالطبع ليس ثمة تقدم فى أى مجال يفوق الرقى الأخلاقى والقيمى فى أى مجتمع؛ ولذا لا يُغنى أى تقدم فى مجالات الحياة المختلفة عن سمو أخلاقى متواكب مع ذلك. ولعل أحد أسباب الأزمة الأخلاقية التى يمر بها العالم أنْ جُعلت الأخلاق فى ذيل اهتمامات بعض الأمم.

وإذا كانت العقائد هى الركن الأسمى لجوهر الإسلام، فإن الأخلاق هى الركن التطبيقى لها، مع إغفال ركن العبادات والمعاملات، وهما لا يخلوان من جانب قيمى وأخلاقى عظيم.

ولأن الإسلام يقوم أساسًا **على الأخلاق الفاضلة الكريمة**، فقد عُد الثناء على أخلاقيات الرسول الكريم ﷺ أحد مسببات ودواعى تفضيله وتميزه ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾ [القلم: ٤]. ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ** ﴾ [آل عمران : ١٥٩]. ، وقال عن نفسه ﷺ : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[١] وقال أيضًا: « ما من شىء أثقل فى ميزان العبد يوم القيامة من خلق حسن وإن الله ليبغض الفاحش البذىء»[٢] وقال: « البرُّ حسن الخلق، والإثم ما حاك فى صدرك، وكرهت أن يطلع عليه الناس»[٣] .

ويستفاد من أحاديث أخرى أن أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا، وأن من أحب الناس وأقربهم للرسول ﷺ أحسنهم خلقًا، وأن حسن الخلق من أفضل الخلق، ومن أكثر ما يُدخل الجنة، وإن العبد ليبلغ بحسن الخلق أشرف المنازل وأعظم الدرجات فى الآخرة.

ولذا جاء الأمر بمخالقة الناس بالخلق الحسن، واعتباره أحد سمات كمال الإيمان، وأحد مسببات العلو فى الجنة، والفوز برضوان الله تعالى ، وجعله معيارًا للمفاضلة بين الناس يوم القيامة.

---

(١) رواه مالك وأحمد وغيرهما بسند صحيح.

(٢) رواه الترمذى فى الجامع عن أبى الدرداء وقال: حديث حسن صحيح.

(٣) رواه مسلم عن النواس بن سمعان.

وحرص الإسلام على إبراز دلائل حسن الخلق من حياء وصلاح وصدق وبر وصبر وشكر وحلم ورفق وعفة وصلة رحم واجتناب المحارم وكف الأذى والعدل والكرم والتواضع والتوكل والرحمة، وتجنب الصفات الرذيلة، كالظلم والحقد والحسد والبخل والرياء والعجز والغش (مما سنفصله فى تناول تالٍ).

وليس خافيًا أن لحسن الخلق علامات، وهى كلها مرتبطة بالإيمان، فحسن الخلق من الإيمان بل هو الإيمان، وسوء الخلق من النفاق بل هو النفاق. وقد ذكر الله تعالى صفات المؤمنين والمنافقين فى كتابه وهى بجملتها ثمرة حسن الخلق وسوء الخلق[1] .

والمتأمل فى العبادات فى الإسلام يجد أنها ليست طقوسًا مبهمة، وليست تكليفًا بلا معنى، ولكنها تدريب للمسلم أن يحيا حياة أخلاقية صحيحة، وأن يظل متمسكًا بهذه الأخلاق ومحافظًا عليها، فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، وتبعد عن الرذائل، وتطهر من سوء القول وسوء العمل[2] .

والشىء نفسه فى الزكاة، التى فُرضت للتطهير والتزكية، وتنظيف النفس، وتوطيد العلاقات بين الأفراد، والتسامى بالمجتمع إلى مستوى أنبل وأعظم.

والصوم كذلك ليس حرمانًا مؤقتًا، ولكنه خطوة إلى حرمان النفس من شهواتها ونزواتها، فغايته التقوى، والبعد عن اللغو والرفث والفسوق والجدال، وتدريب على فعل الخير والإكثار من الطاعات والتزود بالتقوى.

ونخلص مما تقدم إلى أن العبارات مُوصِلة إلى تربية خلقية، والتزام قويم، وتدريب على الطاعة والاستقامة، وتأكيد لأواصر العلاقة بين الدين والخُلق.

فالصلاة والصيام والزكاة والحج وغير ذلك من الطاعات هى مدارج للكمال، ورافد للتطهير وتزكية للقلب، ونقاء للروح، وتقوية الصلة بالله تعالى.

---

(١) يُرجع فى ذلك لكتب الأخلاقيات الإسلامية، ومنها مؤلفات الإمام أبى حامد الغزالى، وبخاصة ملخص الإحياء فى تهذيب موعظة المؤمنين للقاسمى؛ حيث أفاض القول فى فضيلة حسن الخلق، ومذمة سوء الخلق، وما قاله السلف فى ذلك، وبيان السبب الذى به يُنال حسن الخلق على الجملة، وبيان تفصيل الطريق إلى تهذيب الأخلاق، والطريق الذى يعرف الإنسان به عيوب نفسه، وبيان تمييز علامات حسن الخلق، وثمرة كل ذلك فى سلوك المسلم، وطرق التربية والسلوك، ورياضة الأبناء خُلقيا وتأديبيًا.

(٢) ثمة أحاديث كثيرة، تعضد ذلك، ومنها: حديث البزار عن ابن عباس رضى الله عنهما عن الله عز وجل فى الحديث القدسى « إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتى، ولم يستطل على خلقى، ولم يبت مصرًا على معصيتنى، وقطع النهار فى ذكرى، ورحم المسكين وابن السبيل والأرملة، ورحم المصاب».

ونرصد خطًا منهجيًا فى القرآن الكريم والأحاديث النبوية يصل بين الإيمان والأخلاق، فالحياء والإيمان قرينان، والإحسان إلى الجار من الإيمان[1]، وغير ذلك من الفضائل المرتبطة بالإيمان. فالإيمان لا يكتمل ولا يكون حقيقة إلا بحسن الخلق، وحسن المعاملة مع الناس. فالإيمان والصلاح والأخلاق عناصر متلازمة متماسكة، والإيمان الحقيقى تبرز إفرازاته فى كلمة طيبة، وعطاء حسن، وإحسان إلى الناس .. إلخ.

وليس عجبًا أن الرذائل تبعد المرء عن الدين الصحيح، وهى تأكيد لضعف إيمان صاحبها وفساد عمله، ومن هنا نرى العلاقة وثيقة بين خُلق النفاق وبين هذه الأخلاقيات السيئة، والقبائح التى إن فعلها المرء أضحى منافقًا مثل الكذب فى الحديث، وخُلف الوعد، وخيانة الأمانة، وغدر العهد، وصلاته وزكاته وصومه وحجه لا يسقط عنه هذا النفاق السلوكى.

وعندما يُكثر المرء من المعاصى وإتيان المنكر فهذا لضعف إيمان العاصى؛ الذى يُدمن المعصية ويألفها، ويغتر بالدنيا، وتضعف إرادة الخير عنده.. فيطبع الله على قلبه، ويدخل تحت لعنة رسول الله ﷺ، وتعمى البصيرة، وتمرض القلب، وتمحق البركة، وتُزيل النعم، وتُنسى العبد نفسه، وتوجب القطيعة بين العبد والرب[2].

وبرؤية شمولية للأخلاق الإسلامية نجد أن الإسلام جاء لينقل البشرية خطوات فسيحة إلى حياة مشرقة بالفضائل والآداب، واعتبر المراحل المؤدية لهذا الهدف النبيل من صميم رسالته، وعدّ الإخلال بهذه الوسائل خروجًا عليه، وابتعادًا عنه.

فليست الأخلاق من مواد الترف؛ التى يمكن الاستغناء عنها، بل هى أصول الحياة التى يرتضيها الدين، وقد أحصى الإسلام الفضائل، وحث أتباعه على التمسك بها واحدة واحدة. ولو جمعنا أقوال صاحب الرسالة ﷺ فى التحلى بالأخلاق الزكية لخرجنا

---

(١) نجد صدى ذلك فى قول الرسول الكريم ﷺ: « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيرًا أو ليصمت» رواه البخارى. وقوله ﷺ: « والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن. قيل: من يا رسول الله ؟ قال: الذى لا يأمن جاره بوائقه» رواه البخارى. وأنت ترى أن الإيمان قاسم مشترك فيهما.

(٢) فى كتابه (الداء والدواء) رصد ابن قيم الجوزية – رحمة الله – أضرار الذنوب والمعاصى، وأثر ذلك على العاصى، وما يلحق به من عقاب فى الدنيا والآخرة. وربط العلاقة بين الذنوب والإيمان، وبين سوء الخلق وضعف اليقين.

بسِفر لا يعرف مثله، لعظيم من أئمة الإصلاح[1] ولوجدنا سيلاً متدفقًا من القيم العظيمة، وتواصلاً حقيقيًا بين الناس وخالقهم، وبين الناس والناس.

ولوجدنا أن من بين معايير المفاضلة بين المسلمين حسن خلقهم، وكرم طبيعتهم.

ومن شأن الحفاظ على الأخلاق فى أمة أن يضمن لها بقاءها وازدهار حضارتها، واستدامة منعتها، ودوام ملكها. وأن زوال الأمم وكيانها يتأتى من بعدها عن منهج الله ومقارفة الآثام[2] . وتستمد الأمة مكانتها وسموها بتمثلها للصفات العالية، والأخلاق الكريمة وبنقصان الفضائل فى أمة ينقص قدرها، ويتبدى انهزامها الخلقى.

وتفقد الشخصية الإسلامية بعض قوامها، وكثيرًا من جمالها، وتناسق سلوكها عندما تفقد بعض أخلاقها. وعندما يقع التفريط فى البناء الخُلقى للأمة يهتز بناؤها وميزانها؛ ولذا فإن إحياء الأخلاق الإسلامية هو عودة لحياة السلف ونهج الصحابة.

فبهذه الأخلاق فتح المسلمون البلدان؛ متسلحين بحسن الخلق، رحماء وأمناء على النفوس والأرواح والأموال؛ بعيدين عن الظلم والنهب والسلب، محافظين على العدالة والتسامح والعفو والحلم وسعة الصدر، فضربوا المثل الطيب للبلاد التى فتحوها؛ فأقبلوا على الإسلام دون إكراه أو إجبار على ذلك[3] .

ونقرر هنا أن الإسلام فى تأصيله لقواعد الأخلاق، وفى عنايته بالبناء القيمى للمجتمع؛ ينطلق من مسلمات أساسية فى ذلك؛ منها أن صلاح المجتمع المسلم مرتبط بالتزام أفراده لهذه الأخلاقيات، وأن جزءًا كبيرًا من مضامين الريادة لهذه الأمة مرتبط بذلك. ولننظر لقوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ

---

(١) محمد الغزالى: خلق المسلم، القاهرة، دار الدعوة، ١٩٩٠، ص ١٧.

(٢) يؤكد القرآن الكريم هذه الحقيقة؛ فالأمم السابقة كان خلقها وإتيانها المنكر ومخالفتها لأمر الله سببًا لهلاكها ﴿ فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ [الأعراف : ١٦٦].﴿ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴾ [الذاريات : ٤٤]. ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴾ [الطلاق : ٨] .

(٣) شهد بذلك مؤرخو الغرب وكُتابه، ومنهم (السير توماس أرنولد) فى كتابه (الدعوة إلى الإسلام)؛ حيث ذكر أن المسلمين أقاموا دولة العدل وأنصفوا المظلومين من المسيحيين فى البلاد المفتوحة؛ لذا اعتنق كثير من المسحيين الإسلام بدافع من أنفسهم، وبمحض إرادتهم، وذلك لإعجابهم بالدين الإسلامى ولسماحته ومنطقيته ودعوته للأخلاق الحميدة، ومسالمته لأصحاب الديانات الأخرى إلى غير ذلك مما ذكر، مستشهدًا لذلك بوقائع محددة يؤكدها ما اقتبسناه.

عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [آل عمران : ١١٠]. فخيريتها مرتبطة بأحد هذه الأخلاقيات المميزة لهذه الأمة، فعندما يؤدَّى شرط الله – فى هذه الأمة – تستحق هذا الفضل والسبق، وإن الشريعة انفردت عن غيرها بتقديم تفصيل واف لكل خُلق إسلامى، ولتطبيقاته، مما لا نجد له نظيرًا فى الشرائع الأخرى، بل وفى تراث الأمم وسجل مؤلفاتها[1] .

ورغم عناية الإسلام بالأخلاق، ودعوة الأمة لذلك؛ إلا أن ثمة انفصامًا واضحًا فى سلوك المسلم؛ حيث يخالف سلوكنا ما أمرنا به الإسلام، وتجد ذلك فى المعاملات والسلوكيات، التى لا تعبر عن التزام صحيح بالجانب الأخلاقى. وتجد كذلك عناية بجانب منها، وتفريطًا فى الآخر.

فالمسلم قد يؤدى فرائض دينه ولكنه لا يجد غضاضة فى أكل الربا أو الغش فى التجارة أو شرب الخمر أو اقتراف معصية أو عدم تقديم العون لأخيه المسلم. مما يحدث انبعاجًا وعدم توازن فى البناء القيمى والخلقى فى المجتمع المسلم.

وعندما تتدخل الأهواء فى تطبيق هذه القيم، وعندما تخضع للتبديل والتغيير فإن ثمة مفاسد ومضار تنتج عن ذلك، منها « إشاعة الفوضى، وفقدان الأنظمة، واضطراب الأحوال، وتسلط القوى، وظلم الضعيف، وإثارة القلاقل، وعدم الطمأنينة، وانعدام الأمن»[2] .

وفى المقابل نجد أن الالتزام بهذه القيم والبعد عن الأهواء، هو سبب لتوفير السعادة والراحة، وتحقيق للأمن والأمان، والحفاظ على الكرامة، وحماية مصلحة الإنسان.

ولن تقوم نهضة حقيقية لهذه الأمة إلا بالتزام دقيق وتطبيق صحيح لقيم الإسلام الخالدة، التى اتسمت بسمو غايتها، ووسطيتها واعتدالها، ورعاية مصلحة الفرد والمجتمع وتحقيق الخير العام للإنسان. واتسمت كذلك بتجاوزها حدود المحلية إلى كونها قيمًا كبرى واجبة فى كل زمان ومكان. وكونها قيمًا عامة لكل الناس دون مجتمع أو

---

(١) أفرد علماء المسلمين مؤلفات للأخلاق وتطبيقاتها، وجعلوا لمباحث الأخلاق علمًا مستقلاً له دراساته؛ لذا حفلت المكتبة الإسلامية بقسم عظيم لكتب (الآداب الشرعية أو الأخلاق) ودراسة العلاقة بين التشريعات الإسلامية والأخلاق.

(٢) وهبة الزحيلى : القيم الإسلامية واتباع الهوى، الكويت، مجلة الوعى الإسلامى ، العدد ٢٣٢، فبراير ١٩٨٤، ص ١٣ وما بعدها.

جنس، ثم إنها خالدة ومستمدة من شريعة خالدة، وذلك الخلود القائم على المبادئ الكلية والقواعد الشاملة، والضوابط المرنة، كما أنها منسجمة مع الفطرة الصحيحة وأصالة الإنسان السوى، ونقاء جوهره ومادته.

ومنطلقنا فى معالجة قضية الأخلاق فى الإسلام التأكيد على أن المضامين القيمية والأخلاقية عندما افتقدها المسلمون فى حياتهم، وعندما غيبوا بعضها، وأخذوا ببعضها كان ذلك أحد أسباب تخلفهم، ونعتقد اعتقادَ دِينٍ أن عودة المسلمين إلى نبعها الصافى وإلى الفهم الصحيح لتطبيقاتها يمثل بداية بعث حقيقى لهم.

ونجدنا فى حاجة لرصد بعض الأخلاقيات الإسلامية الأساسية؛ التى تمثل محاور لهذا البعث، والتى سنخلص منها إلى التطبيقات الصحيحة لها، وأثر ذلك فى حياة المسلمين، وهذا ما سنعرض له فيما يلى:

المبحث الثانى: تصنيف مُفصل للمنظومة ا خلاقية فى الإسلام

أشرنا فيما تقدم إلى النسق الخلقى فى الإسلام، والدعوة إلى حسن الخلق بعامة كصفة للمسلم. وامتدادًا لذلك سنفُصل الحديث عند كل خلق إسلامى، ينبغى أن يتصف به المسلم، ويكون خليقة له.

وباستلهامنا لروح النصوص الدينية نخلص إلى تصور للأخلاق الأساسية فى الإسلام، متمثلاً فى أقسام ثلاثة، وهى:

القسم الأول : أخلاق أساسية فى البناء الاجتماعى والعلائق للمجتمع المسلم.

القسم الثانى : أخلاق فرعية حميدة، يجب على المسلم اتباعها والعمل بها.

القسم الثالث: أخلاق ذميمة، ينبغى اجتنابها والبعد عنها.

وسنتناول كل قسم منها بالشرح والتفصيل فيما يلى:

القسم الأول: أخلاق أساسية فى البناء الاجتماعى والعلائقى للمجتمع المسلم

ثمة أخلاقيات إسلامية موجهة نحو المجتمع للتقريب بين أفراده، وصهرهم فى إطار إسلامى؛ يحكم حياتهم؛ ويكون سلوكًا لهم، ورغم أنه من الصعب أن نفصل الأخلاق الفردية لكل مسلم عن الأخلاق الجماعية، إلا أن ما نقصده هنا هو الأخلاق

ذات الجانب الاجتماعى، أى التى يؤديها المسلم ويمتد أثرها النفعى والمعنوى إلى غيره. وإنْ أخذ بها فى مجتمع ما فإنه يكون قد تخلق بالأخلاقيات الإسلامية، ويكون أدخل فى دائرة المجتمع القرآنى النبوى، الذى يجعل من الإسلام حركته وعلاقته وسبيله.

ويمكن لنا أن نُجمل هذه الأخلاقيات، مفصلين القول عنها فيما يلى:-

١- **التحاب فى الله تعالى**: تتحقق المحبة فى الله عندما تكون خالية من الغرض، وإنما تكون بالتواصى بالحق والصبر والتعاون على الخير والذكر والدعوة والعلم[١] ويكتمل إيمان العبد عندما يحب لله ويبغض لله، ويجد العبد حلاوة الإيمان عندما لا يحب المرءَ إلا لله تعالى، ويستظل العبد بظل الله يوم القيامة بمحبته لأخيه فى الله تعالى. والمتحابون فى جلال الله يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله، ويكونون على منابر من نور؛ ولذا وجبت محبته تعالى للمتحابين فيه والمتزاورين والمتبازلين فيه.

وثمة وسائل تحقق التحاب فى الله مثل التزاور فى الله تعالى، وإفشاء السلام، والتصادق فى الله، والتودد فى الله تعالى، والتواصى بالخير للمسلمين، والتعاون على تقوى الله وطاعته، والنصح والتذكير لله تعالى. وعندما يصل المسلم لمنزلة المتحابين فى الله فإنه يدخل فى دائرة قوله ﷺ :« إن من عباد الله أناسًا ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله؛ فقالوا: يا رسول الله تخبرنا من هم؟! قال: هم قوم تحابوا بروح الله، على غير أرحام بينهم، ولا أموال يتعاطونها. فوالله إن وجوههم لنور، وإنهم لعلى نور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس. وقرأ ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [يونس : ٦٢][٢] .

وهم كذلك عن يمين الرحمن – وكلتا يديه يمين – يوم القيامة وقال عنه الرسول الكريم ﷺ:« جماع من نوازع القبائل؛ يجتمعون على ذكر الله؛ فينتقون أطايب الكلام كما ينتقى آكل التمر أطايبه»[٣] وتاكيدًا للمعانى السابقة، وإعلاءً لشأن التحاب فى الله،

---

(١) يؤكد ذلك قوله تعالى عن موسى عليه السلام عندما دعا الله تعالى أن يجعل له هارون وزيرًا، مبينًا الهدف من ذلك ﴿ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ۝٣٣ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴾ [طه : ٣٣-٣٤]. وقوله تعالى عن المؤمنين: ﴿ وَتَوَاصَوْا بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِٱلصَّبْرِ ﴾ [العصر : ٣].

(٢) رواه أبو داود عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه – ورواه النسائى وابن حبان عن أبى هريرة رضي الله عنه .

(٣) رواه مسلم فى كتاب الإمارة عن أبى بكر رضي الله عنه .

وتلاقى المسلمين على هدف واحد، والتقريب بينهم فإننا نرصد جانبًا مهمًا فى أحاديث الرسول ﷺ، يشير لذلك، منها قوله: « إذا أحب الرجل أخاه فليخبره أنه يحبه»[1] أى ليقل له: إنى أحبك فى الله، فيقول له أخوه: أحبك الله الذى أحببتنى له. ومنها قوله ﷺ: « أن رجلاً زار أخًا له فى قرية أخرى فأرصد الله له مدرجته ملكًا» إلى قوله:« إن الله قد أحبك كما أحببته فيه»[2] .

والذى نؤكد عليه أنه بالتحاب فى الله تعالى، بتحقيق معانيه السابقة، فإن المجتمع المسلم تتآزر علاقاته وروابطه وفق منهج الله تعالى، ويتحقق مفهوم الجسد الواحد، وتتجسد مشاعره فى اتجاه واحد وتنصب روافد أخوته فى معين التواصى بالخير، والتواصل فى حب الله، والتلاقى على طاعته.

٢- **الإيثار:** يقول الله تعالى مادحًا الأنصار بالمدينة، الذين يؤثرون غيرهم من المهاجرين على أنفسهم ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر : ٩].

فالإيثار سمة للمسلم؛ فمتى رأى محلاً للإيثار آثر غيره على نفسه، وفضله عليها، فقد يجوع ليشبع غيره، ويعطش ليروى سواه، بل قد يموت فى سبيل حياة الآخرين[3] انطلاقًا من معانى الكمال، وحب الفضيلة، والجميل، مما يكتسبه المسلم، وتتشبع به روحه.

وعندما يفعل المسلم ذلك فإنه يتأسى بأخلاق الرسول الكريم وصحابته، الذين طبقوا هذا الخُلق العظيم، واستمدوا ذلك من ينابيع الحكمة، وخاضوا فى أنوار الهدى،

---

(١) رواه أبو داود والترمذى عن المقدم ﷺ .

(٢) رواه مسلم عن أبى هريرة ﷺ .

(٣) فى الأدبيات الإسلامية نماذج عدة لذلك، منها فداء على بن أبى طالب كرم الله وجهه للرسول الكريم ﷺ فى حادث الهجرة، عندما على فراش الرسول ﷺ ضاربا أروع الأمثلة فى الإيثار والتضحية. وفى موقعة اليرموك نشاهد مشهدًا مؤثرًا لثلاثة من المجاهدين، ويؤثر كل منهم الآخر على نفسه فى شَربة ماء، ويموت الثلاثة [الشهداء الأبرار] مقدمين أعلى مثال فى الإيثار وتفضيل الغير على النفس. وقدم الصحابة أمثلة فريدة لذلك، ونتذكر هذا الصحابى الجليل الذى آثر ضيفه على نفسه وأهله، وأوهم ضيفه أنه يأكل معه بعد أن أطفأ السراج، وقد عجب الله من صنيعه كما أخبره رسول الله ﷺ بذلك.

فالمسلم عندما يحيا لله تعالى ويصل نفسه بالسماء، فإن الدنيا عندئذ ستصغر فى عينيه، فطبيعى أن يحب الخير لغيره ويؤثر غيره من المسلمين على نفسه؛ لأنه سيجد عند الله ما هو أعظم من ذلك وأبقى وأفضل.

وأنت تجد السمو والعظمة فى حث الإسلام على عطاء المسلم لغيره، فإيمانه الحقيقى لا يتأتى عندما يبيت شبعانًا وجاره جائع، ولا يتحقق كذلك إلا عندما يحب لأخيه ما يحبه لنفسه.

وفى المجتمع المسلم ينهج الأفراد نهج صحابة رسول الله ﷺ، مؤثرين غيرهم من المسلمين على أنفسهم، متغلبين على شُح النفوس، وموقنين بعظم الأجر والثواب عند الله تعالى، وتجد صدى ذلك فى علاقة المسلم بأخيه؛ حيث روح الإيثار والحب والرغبة فى الخير، مما يقوى أواصر القربى والقوة فى المجتمع، ومما يبرز هويته الروحية وسمو الوازع الدينى فيه، وقوة الخير فيه، وعظمه هذا المجتمع عندما يتشرب أفراده هذا الخلق العظيم، ويكون سلوكًا لهم، جزءًا من تكوينهم القيمى.

٣- الإخاء: تستمر الأخوة فى الله إذا كانت على تقوى وهداية ﴿ **ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ** ﴾ [**الزخرف** : ٦٧]. ومسايرة لفطرة الله تعالى، الذى خلقنا شعوبًا وقبائل، وجعلنا أممًا، وأوجب التقارب لا التباعد، والتعارف لا التنافر، والترابط لا التفكك، والتآخى لا التعادى.

وفى المجتمع المسلم حيث يجتمع الكل على عقيدة واحدة؛ فالتعارف يكون إعزازًا وتجديدًا بين الخلق، والأخوة الخالصة تكون مؤلفة بين المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها، وتجعلهم وحدة راسخة البناء " وهذه الأخوة هى روح الإيمان الحى، ولباب المشاعر الرقيقة التى يكنها المسلم لإخوانه، حتى إنه ليحيا بهم ويحيا لهم، فكأنهم أغصان انبثقت من درجة واحدة أو روح واحدة حل فى أجسام متعددة[1] .

ويقدم الإسلام آدابًا شاملة من شأنها تقوية الأخوة الإسلامية مثل عدم ظلم المسلم لأخيه المسلم، وعدم احتقاره، ونصرته، وحرمة دمه وعرضه وماله، والتبسم فى وجهه، وتأدية حقوقه عليه مثل أن يعوده إذا مرض، وأن يجيبه إذا دعاه، وأن يشهده إذا مات، وأن يرد عليه السلام، وأن يشتمه إذا عطس، وأن ينصح له، وأن يكون أليفًا

(١) محمد الغزالى: خلق المسلم، مرجع سابق، ص ١٧٤.

لإخوانه، مألوفًا لديهم، لينًا ولطيفًا وسهلاً، وألا يخدعهم أو يمازح معهم بغير الحق، وألا يخلف معهم الموعد، وألا يخونهم، وألا يكذب عليهم، وألا يتعالى عليهم ويجسد الرسول الكريم ﷺ الصفات الذميمة، التى تحول دون الأخوة الصحيحة، فيقول« لا تقاطعوا ولا تدابروا، ولا تباغضوا، ولا تحاسدوا، وكونوا عباد الله إخوانًا، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث»[1] ويجسد كذلك واجبات المسلم نحو أخيه، فيقول« المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يُسلمه. من كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة»[2] .

والإقرار بحقوق المسلم والقيام بها تحقيق للمشاركة فى الخير والشر، ومحبة النفع للمسلم، والاجتهاد فى عونه، وتقديم المساعدة، والتى يحتاج إليها المجتمع لإرساء أركانه، وصيانة بنيانه، الذى لا يكون قويًا إلا بذلك. فبفعل أخوة الدين يكون المسلم ظهيرًا وسندًا لإخوانه، ناصرًا لهم، وراشدًا لمن ضل، ومُذكرًا لمن غفل، وآخذًا له حقه إذا ظُلم، غارسًا للطمأنينة فى قلبه[3] .

وفى المجتمع المسلم تقوى أواصر الأخوة، ويلتقى الجميع على شعائر الإسلام، ويقوم إخاء العقيدة الذى أقام به الرسول دولته – مقام إخاء النسب، حيث تعلو رابطة العقيدة، وترتفع فوق إخاء النفع والدنيا، وتسمو عن كل نفع، وتستمد قوتها من مفهوم الجسد الواحد.

٤- التسامح: لا يشك أحد فى أن التسامح سمة لازمت الإسلام منذ نزل الوحى وحتى الآن، فقد تأكد لكل ذى عقل أن الإسلام دين يدعو للتسامح، وأكدت ممارسات الرسول ﷺ ذلك، كما تنطق صور التاريخ الإسلامى بأن المسلمين تميزوا بسماحتهم، وارتفاع رصيدهم فى العفو والصفح والرفق.

---

(١) رواه البخارى ومسلم وأحمد وأبو داود عن أنس ﷺ .

(٢) رواه البخارى ومسلم عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما.

(٣) فى كل تعاليم الإسلام تجد هذه الروح، التى ترعى الإخاء، وتنبذ العصبيات والشقاق، وتحافظ على نفسية مؤمنة هادئة، لا تتعرض لقلق أو إيذاء من مسلم آخر.. ونجد ذلك واضحًا فى قول الرسول الكريم ﷺ: «لا يحل لمسلم أن يروع مسلمًا» وقوله:« من نظر إلى مسلم نظرة يخيفه فيها بغيرحق أخافه الله يوم القيامة» وقوله: «من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه حتى ينتهى، وإن كان أخاه لأبيه وأمه» رواه مسلم (٢٦١٦)..

والتسامح – فى تصورنا – خلق متعدد الاتجاهات؛ حيث لا يقتصر تسامح الفرد على نفسه كخُلق الصبر مثلاً ولكنه يمتد للآخرين، وينتقل من إطار الفردية إلى الجماعية، ومن هنا كان التسامح من الأخلاقيات المميزة للمجتمع المسلم فى داخل بنائه، وفى علاقته بغيره من المجتمعات الأخرى (ما لم يكن فى ذلك إسقاط لحق مقرر للمجتمع المسلم).

والمتأمل للقرآن الكريم يجد الدعوة للعفو والصفح ﴿ فَٱعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ﴾ [البقرة : ١٠٩]. ﴿ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التغابن : ١٤]. إلى غير ذلك من الآيات الكريمة التى تحث على ذلك[١] والشىء نفسه فى أدب النبوة؛ حيث تلمس ذلك فى صفح الرسول عن قومه بعد فتح مكة، وفى عفوه عن الأعراب الغِلاظ، وفى تسامحه مع كبير المنافقين عبد الله بن أبى بن سلول.

وتأكدت سماحة المسلمين فى فتوحاتهم الإسلامية، وفى معاملة غير المسلمين، والإحسان فى معاملتهم، والتسامح مع الأرقاء، ومع أسرى الحروب، مما لا نجد له نظيرًا فى الديانات الأخرى.

والذى نخلص إليه – تطبيقيًا – أنه بتسامح المسلمين فإنهم يقدمون صورة صحيحية لدينهم، وهذا يفتح بابًا عظيمًا فى الإسلام. وإن الالتزام بهذا الخُلق هو بُعد عن دوائر الشقاق والخلاف، والسمو بالأفراد فوق التوافه، وتجاوز الصغائر، وهو اقتراب من تطبيق روح الإسلام فى حياتنا وعلاقاتنا.

٥- **رد المعروف:** حثًا على الخير، وتعزيزًا لمن يصنع معروفًا أن يكُثر من فعله، فإن ديننا يأمرنا ليس بعمل المعروف فقط، بل أن نُحسن إلى من فعل ذلك، وأن نُرد له ذلك بأية وسيلة متاحة وفى ذلك جاء قوله ﷺ: « من سأل بالله فأعطوه، ومن استعاذ بالله فأعيذوه، ومن دعاكم فأجيبوه، ومن صنع إليكم معروفًا فكافئوه؛ فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له، حتى تروا أنكم قد كافأتموه»[٢] .

---

(١) لمزيد من الشرح يشار إلى بحث منشور للمؤلف تناول (التسامح فى الإسلام.. وأثره فى حياة الأمة) ١٤١١ هـ وعرض فيه لمعنى المصطلح فى القرآن الكريم، وتطبيقاته فى الأدب النبوى الشريف، فى معاملة غير المسلمين، مع الأرقاء، وفى الحروب الخ ثم ناقش فاعلية التسامح فى حياة الأمة الإسلامية.

(٢) رواه أبو داود والنسائى عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما.

وذلك لأن المكافأة على المعروف من المروءة التى يحبها الله ورسوله، «ولا يهمل المكافأة على المعروف إلا اللئام من الناس، وبعض اللئام يكافئ على الإحسان بالإساءة؛ بخلاف أهل التقوى والإيمان فإنهم يدفعون السيئة بالحسنة، طاعة لله ومحبة لما يحبه ويرضاه»[1].

وتدرجًا فى رد الجميل، وتيسيرًا على الناس، نُدب إلى الدعاء فى حق من لم يجد المكافأة العينية مكافأةً؛ فيدعو له على حسب معروفه، وبما يتناسب مع ما قدم.

والمجتمع المسلم يزداد خيرًا وينمو عندما يبقى حيًا ويقظًا ومستمرًا، وعندما لا ينساه أهله، وساعة أن يرد الجميل بالإحسان، فإن هذا يُرضى من فعله، ويجعله أكثر عطاءً وعونًا، وهذه سمة تميز المجتمع المسلم، الذى يتواصل أفراده برد المعروف لصانعيه.

٦- **قضاء حاجة المسلم:** اختص الله تعالى بعض عباده بقضاء حوائج المسلمين، وهؤلاء فى منزله عظيمة، تعدل الجهاد فى سبيل الله؛ وهذا ما تؤكده أحاديث كثيرة، منها قوله ﷺ: « إن لله خلقًا اختصهم بقضاء حوائج الناس؛ يفزع الناس إليهم فى حوائجهم أولئك الآمنون من عذاب الله»، وقوله: « إن لله خلقًا خلقهم لقضاء حوائج الناس، آلى على نفسه ألا يعذبهم بالنار، فإذا كان يوم القيامة وضعت لهم منابر من نور»، وقوله ﷺ : « لأن أمشى فى قضاء حاجة أخى أحب إلى من أن أعتكف فى مسجدى هذا».

والذين يقومون بقضاء حوائج المسلمين هم أنفع الناس وأحبهم لله تعالى، وذلك لما لهم من فضل وسبق، ولذلك كان الله تعالى فى عونهم، وييسر لهم، ويقضى عنهم ما داموا يقومون بذلك، فإن لم يفعلوا أو ملوا ذلك فإن الله يختص غيرهم بذلك. قال ﷺ : « إن لله عند أقوام نعمًا يقرها عندهم ما داموا فى حوائج الناس ما لم يملوا، فإذا ملوا نقلها إلى غيرهم».

وفى المجتمع المسلم لا يدخر الأفراد وسعًا فى عون إخوانهم، ومد العون لهم، تحقيقًا للأخوة الإسلامية وإجراءً للخير على أيديهم، وإقرارًا بفضل الله عليهم، طلبًا للخيرية والجزاء، وأداء حق ما اختصهم الله به، وما ميزهم على غيرهم.

---

(١) عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ: فتح المجيد (شرح كتاب التوحيد)، تحقيق محمد حامد الفقى، لاهور، أنصار السنة المحمدية، ب . ت ص ٤٥٨.

٧- الاتحاد: يتجه الخطاب الإلهى للجماعة بالأوامر والنواهى، مثل قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ ﴾ [الحج : ٧٦-٧٧].

وتأكيد مفهوم الأمة الواحدة ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ ﴾ [المؤمنون: ٥٢]، يتحقق بعد تصديع الدين، والتفرق، والاختلاف؛ لذا ينهانا الله عن ذلك ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾ [آل عمران : ١٠٥].

فتوحيد الصفوف مطلب إسلامى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ﴾ [الصف: ٤]. وائتلاف القلوب والمشاعر واتحاد الغايات واجتماع الكلمة أمور أساسية فى تدعيم وحدة الأمة، ودوام دولتها، وبقائها.

وأنت تجد فى كل العبادات الإسلامية تحقيق لذلك؛ ففى صلاة الجماعة يتأكد ذلك، وفى الحج يتلاقى أجناس المسلمين، بل نجد تحذير الرسول الكريم ﷺ من الفرقة والاعتزال؛ فالله تعالى مع الجماعة، والشيطان يستأثر بالفذ (الفرد)، النائى عن الجماعة، والخارج على جماعة المسلمين يموت ميتة جاهلية كما جاء فى الحديث: «من خرج عن طاعة وفارق الجماعة فمات، مات ميتة الجاهلية»، وقوله:« من خرج على أمتى يضرب برها وفاجرها، ولا يتحاشى من مؤمنها، ولا يفى بعهد ذى عهدها، فليس منى ولست منه». وقوله : « ستكون هنات وهنات، فمن أراد أن يفرق هذه الأمة وهى جميع، فاضربوه بالسيف كائنا من كان».

فالإسلام يجمع الناس حوله، وإذا لم توحدهم عبادة الرحمن مزقتهم الأهواء ومتاع الدنيا؛ ولذا يكره الإسلام للمسلم أن ينحصر فى نطاق نفسه، وأن ينعزل وينأى بمصلحته عن مصلحة الجماعة.

وثمة حكم وراء ذلك، منها: أنه فى ظل الوحدة والاتحاد قد يتغلب الأفراد على أخطائهم، وعلى بعض طبائعهم السيئة التى تموت وتنزوى فى ركب الجماعة.

ونخلص مما تقدم إلى حرص الإسلام على حفظ كيان الأمة وسلامتها، وهو لذلك يدعو الأفراد إلى التكاتف على إخراج الأمة من الشقاق، وإدخالهم تحت يد الله تعالى، التى هى مع الجماعة، ويحارب الشقاق والتنافر، اللذين يهددان الأمة بالانهيار.

٨- ١ مر بالمعروف والنهى عن المنكر: وهو خُلق إسلامى عظيم، ابتعث الله من أجله النبيين أجمعين، وجعله أمرًا واجبًا على هذه الأمة ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، وجعله سمة للخيرية فيها، فقال : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وجعله صفة للمؤمنين ﴿ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [التوبة : ٧١]، وذم الله اليهود لتركهم النهى عن المنكر ﴿ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾ [المائدة :٧٩]. وبذا استحقوا لعنة الله. ونجى الله أقوامًا لنهيهم عن المنكر ﴿ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ ﴾ [الأعراف: ١٦٥] .

ولأن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر له شأن كبير فى صلاح المجتمع، فقد أبانت السنة عن مراتبه، وأنه يكون باليد واللسان والقلب، وأنه إذا لم يؤخذ به فإن الله يستجيب لدعائنا، بل ويوشك أن يبعث علينا عقابا كما حدث لبنى إسرائيل، وعدته كذلك أفضل الجهاد، وحذرت من الأمر بالمعروف ومخالفته، والنهى عن المنكر ثم إتيانه، وهو أكبر المقت عند الله تعالى.

وفى المجتمع المسلم تكون النصيحة لله تعالى، والتوجيه أمر ضرورى لكل مسلم، وكذلك التذكير بالكلمة الطيبة، وإذا فعل كل فرد ما يحلو له لتحول المجتمع إلى غابة، ولحق الضر بالآخرين، كما جاء فى حديث السفينة « فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعًا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعًا»[1] .

ولا يتحقق صلاح المجتمع عندما لا يتواصى أفراده بالخير، وعندما يرون المنكر ولا يغيرونه ويسكتون عنه، وعندما يؤمر بالمنكر ويُنهى عن المعروف، وعندئذ يضيع الحق بين أهله، ويصير المنكر معروفًا، والمعروف منكرًا، وعندما يهمل النصح والإرشاد يكثر الفساد، ويتنشر الضلال، ويضعف العمل بالدين ويسترسل الناس فى اتباع الهوى والشهوات، ويعتاد المنكر ويصبح مألوفًا، بل قد يراه البعض معروفًا.

---

(١) رواه البخارى عن النعمان بن بشير رضى الله عنهما – وهو حديث طويل.

٩- صلة الرحم: صلة الرحم مفتاح الوصول إلى رضوان الله، إذ أن من أسباب انقطاع العبد عن الله قطعه للأرحام ﴿ فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ﴾ [محمد: ٢٢]. لأن الله خلق الرحم، وجعل اسمها من اسمه، وتعهد سبحانه بأن يصل من وصلها، ويقطع من قطعها، ويقول ﷺ «لا يدخل الجنة قاطع رحم»[١].

وتكون صلة الرحم بالهبة والهدية والزيارة والسلام، والصدقة، ومداومة الصلة ووصلها عندما تقطع، وقد ذهب رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إن لى قرابة، أصلهم ويقطعوننى وأحسن إليهم ويسيئون إلىّ، وأحلم عنهم، ويجهلون على» قال: «لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم المل، ولن يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك»[٢].

ورغم أن الإسلام يأمر بالتراحم العام، وجعله من دلائل الإيمان « لن تؤمنوا حتى تراحموا» « من لا يَرحم لا يُرحم» وأمر برحمة المسلمين؛ إلا أن حقوق الأقارب، وأصحاب صلات الدم أجدر بالعطف والعطاء والصلة ووجب على المسلم مواساتهم وعونهم والبر بهم والإحسان إليهم، وفى ذلك مضاعفة للأجر والثواب.

ونجد أحاديث عدة تؤكد معانى عظيمة فى هذا الصدد، منها أن صلة الرحم توسع فى الرزق، وتطيل فى العمر، وأن الله يجعل لقاطع الرحم العقوبة فى الدنيا، وأن الرحمة لا تنزل على قوم فيهم قاطع رحم، وأنها محبة فى الأهل، ويدفع الله بها المكروه وميتة السوء، ويعمر الله بها الديار.

وإذ يؤكد الإسلام على ضرورة صلة الرحم فهذا حرص على تدعيم العلاقات بين المسلمين، وخاصة بين ذوى القربى وأصحاب الحقوق، فهم أولى بالرعاية والإحسان، أكان ذلك برًا بالوالدين والإحسان إليهما، أو وصلاً بالأقارب، وعطاءً لهم، وهذا لا يُنقص من شأن الرحمة لكل المسلمين ووصلهم، ولكنه تقديم للأهم، وبدايةً بذوى الحقوق أولاً ثم تكون الرحمة العامة، التى تحقق التراحم والتحاب والتواصل والتقارب بين أبناء المجتمع المسلم.

---

(١) رواه الشيخان وغيرهما عن جبير بن مطعم ﷺ.

(٢) رواه مسلم عن أبى هريرة ﷺ.

ولذا تكون آثار الرحمة العامة بادية فى إغاثة الملهوف، ومساعدة الضعيف، وإطعام الجائع، وكسوة العارى، ومداواة المريض، ومواساة الحزين، والرفق بالحيوان، وهى كلها آثار اجتماعية عظيمة، لا تكون إلا فى مجتمع مسلم متراحم.

١٠- **حق الجار:** يقرر الإسلام حقوقًا للجار، وآدابا فى معاملته واجبة على المتجاورين معه ﴿ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ ﴾ [النساء : ٣٦]. ونجد ربطًا وثيقًا بين الإحسان إلى الجار والإيمان، « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره»(١)، «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذى جاره»(٢)، « ما زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»(٣) .

ونجد كذلك تأكيدًا على ضرورة أن تكون عبادة المسلم متمشية مع الإحسان إلى جاره، وأنه مهما ارتقى فى طاعته لله وأفرط فى حق جاره أو آذاه فإن طاعته ليست بواقية له من عذاب الله، [قال رجل: يا رسول الله: إن فلانة تُذكر من كثرة صلاتها وصدقتها وصيامها، غير أنها تؤذى جيرانها بلسانها، قال: «هى فى النار» قال: يا رسول الله: إن فلانة تُذكر من قلة صيامها وصلاتها، وأنها تصدق الأثوار من الأقط ولا تؤذى بلسانها جيرانها قال: « هى فى الجنة»](٤) .

وتتفاوت حقوق الجيران بمقدار قربهم من جارهم وحسب وضعهم ودينهم، فالجار ذو الرحم له حقوق ثلاثة (حقوق الجوار والإسلام والرحم) والجار المسلم له حقان (حق الجوار والإسلام) وأما الذى له حق واحد فالجار المشرك.

وحرصًا من الإسلام على توسيع دائرة الجوار والتعاطف؛ فقد جعل النبى ﷺ أربعين دارًا جارًا، مما يزيد من واجبات المسلم نحو كل مَنْ جاوروه وإنْ بعدوا. كما أكد واجبات أخرى بجوار الإحسان إليه مثل نصرته إذا استنصر، وعونه إذا طلب، وعيادته، وتهنئته، وتعزيته، وإلانة الكلام معه، والتلطف معه ومع أولاده، والنصح له وإرشاده، وعدم التطلع إلى عوارته، والصفح عن زلاته، وعدم مضايقته فى البناء، وعدم تقدير بيته، وإسداء المعروف والخير إليه، والإهداء إليه من طعام، واحترامه واستشارته.

---

(١) رواه مسلم عن أبى شريح الخُزاعى ﷺ .
(٢) رواه الشيخان وغيرهما عن أبى هريرة ﷺ .
(٣) رواه الشيخان وغيرهما عن ابن عمر رضى الله عنهما.
(٤) رواه أحمد والحاكم، وابن حبان عن أبى هريرة ﷺ .

وهذه كلها آداب اجتماعية؛ من شأنها صلاح المجتمع، وبث الود والراحة والطمأنينة بين أفراده فى إطار شرع حكيم؛ يحفظ الحقوق، ويرسى الواجبات، ويقرر المسئوليات الاجتماعية.

١١- حق أهل الكتاب: يحث الإسلام على دعوتهم بالحسنى ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ ﴾ [العنكبوت: ٤٦]. وحث النبى الكريم ﷺ على التسامح معهم، والرفق بهم « من ظلم معاهدًا أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس أنا حجيجه يوم القيامة».

والمعاهدون منهم لهم حقوقهم المصونة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ ﴾ [المائدة: ١]. وليس خافيًا أن الإسلام أقر للمسلم حق الزواج من الكتابية، وأحل لنا طعام أهل الكتاب، وجعل كمال الإيمان مرتبطًا بالإيمان بالشرائع السابقة، على نحو ما أوضح القرآن الكريم.

ولذا فقد أظهر النبى ﷺ وأصحابه وقواد المسلمين سماحة حقيقية فيما عقدوا من صلح مع البلاد التى فتحوها؛ رغم أن المنتصر كان من شأنه أن يستبد ويملى شروطًا بدافع الغرور والانتقام، ولكن المسلمين كانوا فى معاهداتهم كراماً؛ فأقروا أصحاب البلاد على عقائدهم وشعائرهم الدينية، وأوصوا برعايتهم، والمحافظة عليهم وعلى أموالهم.

وأقر الإسلام الوفاء بعقد الذمة معهم، وعد إكرامهم على اتباع دينهم أو إجبارهم على اتباع الإسلام، كذلك الإحسان إليهم فى المعاملة، وعدم التعالى عليهم وإذلالهم، وحسن التقاضى معهم، وإجزال العطاء لهم، ومراعاة السن والحاجة كما حدث لعمر الفاروق ﷺ مع اليهودى الضرير.

وفى عهد النبوة كان اليهود فى المدينة أمة مع المؤمنين، لهم دينهم وشريعتهم، على مدى التاريخ الإسلامى أخذ الكتابيون حقوقًا لم يحصلوا عليها من قبل. وليس ثمة مشكلة بين المسلمين وأهل الكتاب لكن الخلاف الحقيقى بين الإسلام والعلمانيين، ممن يرفضون الدين، أو يجعلونه هامشيًا، ويتعلقون بالعقل والمدنية، وينزعون إلى الهوى والضلالة باسم التحرر وإعمال العقل والحرية الشخصية.

وبعد أن عرضنا للقسم الأول **(أخلاق أساسية فى البناء الاجتماعى والعلائقى للمجتمع المسلم)** فإننا نؤكد أن الصفات التى رصدناها تمتد لتشمل مساحات واسعة فى المجتمع؛ من تحاب فى الله، وإيثار للآخرين على النفس، والتآخى فى الله، والتسامح مع المسلمين وغيرهم، ورد المعروف ومكافأة صانعيه، واتحاد الكلمة المسلمة والصفوف، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وصلة الرحم، وأداء حق الجار، والإقرار بحق أهل الكتاب، وهى كُلها إن عُمل بها تمثل بنيات أساسية ودعامات قوية فى بناء المجتمع.

ولسنا نزعم أن الأخلاقيات التى رصدناها هنا هى كل الأخلاق الأساسية، فثمة أخلاق اجتماعية أخرى لم نتناولها مثل التعاون على البر والتقوى، وأداء حقوق كل المسلمين المقررة والعطف على اليتامى والمساكين، وأداء الصدقات، والمودة والإصلاح بين الناس وبر الوالدين، والكلمة الطيبة، وأداء الأمانات والوفاء بالعهد، وستر عورات المسلمين، وإكرام الضيف.. الخ ولم نغفلها إقلالاً من شأنها، أو تقديما للأهم – مما عرضنا له – أو تغليبًا لغيرها عليها، وإنما ذكرنا الأخلاقيات السابقة كمختارات للجانب الاجتماعى والعلائقى فى الأخلاقيات الإسلامية؛ لأن منطلقنا فى ذلك أن الإسلام به من المضامين الأخلاقية ما يسمو بالمجتمع، وما يقيم البناء الصلب له، وما يحفظ للأفراد حقوقهم وما يقرر واجبات على المسلم نحو إخوانه، وما جعل البناء الفوقى للمجتمع معبرًا عن صفاء النفوس واستقامتها، وعن نقاء القلوب وطهارتها، أما البناء التحتى المتمثل فى الأخلاق ذات الجانب الفردى – لحد ما – فهذا ما سنعرض له فيما يلى:

القسم الثانى: أخلاق فرعية حميدة، يجب على المسلم اتباعها، والعمل بها

لا تنفصم الأخلاقيات ذات الجانب الفردى، والتى سنتناولها هنا عن الأخلاقيات ذات الجانب الجماعى أو ذات الأثر الاجتماعى مما عرضنا له .. وما أسميناه بالبناء الفوقى للمجتمع المسلم من أخلاقيات اجتماعية له ينفصم كذلك عن البناء التحتى له، مما ينتج من الأخلاق الفردية الحميدة. فكلاهما يلتقيان فى نقطة واحدة، بل وينبعان قبلاً – من رافد واحد هو حُسن الخلق.

ونقرر هنا أنه ليس بوسعنا أن نغفل الأثر الطيب لكل خلق إسلامى فى نفوس الناس، ويمكن أن نشاهد الأثر المحس لكل خلق حميد فى سلوكيات المسلم، مما يجعله صورة جيدة للإسلام، ومما يجعل صاحبه قرآنيًا، ونورانيًا.

والأخلاقيات التى سنعرض لها رغم ما يبدو من فرديتها واقتصارها على التزام صاحبها وطاعته واستجابته إلا أن جانبها التأثيرى عظيم، وهى ناطقة بامتثال الأفراد لله تعالى، ومعبرة عن صورة صادقة للمجتمع المسلم؛ الذى يستمد قوام خُلقه وسلوكه من كتاب الله تعالى وسنة رسوله وسيرة الصحابة والتابعين.

ويمكن تناول هذه الأخلاقيات فيما يلى:

١- **الصدق:** يلتزم المسلم بالصدق ظاهرًا وباطنًا فى أقواله وأفعاله، فالصدق من متممات الإيمان ومكملات الإسلام، إذ أمر الله به، وأثنى على المتصفين به ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [التوبة : ١١٩]. ﴿ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ ﴾ [الأحزاب : ٣٥]. وهو طريق الجنة؛ قال رسول الله ﷺ: « إن الصدق يهدى إلى البر، وإن البر يهدى إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقًا»(١) .

وللصدق ثمرات طيبة؛ يجدها الصادقون فى طمأنينة النفس، وراحة الضمير، والبركة وزيادة الخير « فإن صدقا وبينا بُورك لهما فى بيعهما»(٢)، وبلوغ منزلة الشهادة «من سأل الشهادة بصدق بلّغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه»(٣)، وهو المنجى يوم القيامة ﴿ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴾ [المائدة : ١١٩].

ويبرز صدق المسلم فى حديثه؛ بتجنبه الكذب؛ الذى هو إحدى آيات النفاق، وفى صدق المعاملة، وفى صدق العزم، وفى صدق الوعد، وصدق الحال. والأهم من ذلك الصدق مع الله تعالى: ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ [الأحزاب : ٢٣]. ﴿ لِّيَجْزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ ﴾ [الأحزاب : ٢٤].

ومن سمات خُلق المسلم أن يبتعد عن الكذب؛ لأنه رذيلة وإثم ومرض ونفاق وافتراء؛ لذا لا يكون المؤمن كذابًا، ولا يتحقق إيمان العبد إلا بترك الكذب، أكان كذبًا فى التجارة أو الشهادة أو المدح أو المزاح أو الكذب على الله أو على رسوله « من كذب علىّ

---

(١) رواه الشيخان وغيرهما عن عبدالله بن مسعود ﷺ .
(٢) رواه الشيخان وغيرهما عن حكيم بن خزام ﷺ (جزء من حديث طويل).
(٣) رواه مسلم عن سهل بن حنيف ﷺ .

متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار»[1] ، أو على مسلم «كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثًا، وهو لك مصدق، وأنت له كاذب»[2]، أو على النفس « أفرى الفِرى أن يُرى الرجل عينيه ما لم تريا»[3] .

وتجد صدى صدق المسلم فى المجتمع المسلم؛ الذى لا تكون فيه وعود كذبة، أو إخلاف للوعد، أو إهدار للكلمة؛ ولذا عندما تصدق الأعمال والأقوال، ويُبتعد عن الفجور، والتخبط والادعاء والافتراء؛ فإن المجتمع يرتقى إلى قمة الخير والبر والصلاح ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة : ١٧٧].

٢- الإخلاص: من الركائز المهمة فى حياتنا الإيمانية اتجاه الأعمال إلى الله تعالى وإحسان النية، وإخلاص العمل ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [البينة : ٥]. والتأكيد على إطلاع الله تعالى على القلوب ومراقبة أعمالنا وصدورنا، ومعرفة ما خفى منها وما ظهر ﴿ قُلۡ إِن تُخۡفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمۡ أَوۡ تُبۡدُوهُ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ ﴾ [آل عمران: ٢٩]. وعلى أن المحور الرئيس فى العبادات وكل الأعمال ما تكنة من نية، تُصير كل الأعمال وتحرك كل الجوارح وتمثل ميزانًا دقيقًا لأعمالنا « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى..»[4] .

ومن مُحركات الأعمال لدى المسلم شعوره بالمراقبة، وهذا يجعله مخلصًا مع الله تعالى « إن الله لا ينظر إلى أجسامكم، ولا إلى صوركم، لكن ينظر إلى قلوبكم»[5] ولذا يحاسب الله تعالى الناس على قدر إخلاصهم وحسن توجههم؛ ذلكم لأن الإخلاص سر بين العبد وربه، والله تعالى أغنى الشركاء عن الشرك؛ لذا فإشراك المسلم لأحد مع الله فى نية أعماله هو رياء مذموم ﴿ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ [النساء: ١٤٢]. وابتغاء المسلم للأجر والثواب من غير الله تعالى يقربه إلى عمل أهل النار « من تعلم علمًا مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضًا من الدنيا لم يجد عَرفْ الجنة يوم

(١) رواه البخارى عن أبى هريرة ﷺ .
(٢) رواه البخارى عن أبى هريرة ﷺ .
(٣) رواه البخارى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما .
(٤) رواه الشيخان عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ (وهو صدر حديث طويل عظيم).
(٥) رواه مسلم عن أبى هريرة ﷺ .

القيامة»[1] بل إن مثل هذه الأعمال تجعل المرء من أول من تسعر بهم النار يوم القيامة، وعدّه رسول الله ﷺ شركًا خفيًا؛ حيث يريد الإنسان بعمله الدنيا، ويريد استحسان الناس لفعله « ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندى من المسيح الدجال! قالوا: بلى يا رسول الله، قال: الشرك الخفى، يقوم الرجل فيصلى فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل»[2].

وثم أمور نلح عليها بشأن إخلاص المسلم، أبرزها أن صلاح النية وإخلاص الفؤاد لله، يرتفعان الأعمال الدنيوية لمنزلة العبادة المتقبلة، وأن خبث الطوية وفساد النية؛ يهبطان بالطاعات لمنزلة المعاصى، ولا ينال المرء منها إلا التعب والفشل[3].

كما أن الإخلاص هو خليقة المسلم، وهو الشرارة الموقظة لعمله، هو فضيلة تنقى الأعمال من الرياء، وتتغلب على حب الدنيا والأثرة، وحب الثناء، والرغبة فى التفاخر والعلو، وتجعل الأعمال مجردة عن الهوى والزيغ والأغراض والشهوات.

٣- الحياء .. الحياء خُلق للمسلم، فهو من الإيمان «والحياء شعبة من الإيمان»[4] ولا ينفصم الحياء عن الإيمان، فهما قرينان، وكلاهما داع للخير صارف للشر، وكلاهما يمنع صاحبه من التقصير فى شكر المنعم، والتفريط فى حق الله، وارتكاب المعاصى؛ لذا فإن الحياء خير كله، ولا يأتى إلا بالخير.

وحياء المسلم يمنعه من البذاءة، وفحش القول والفعل والغلظة والجفاء، وهى كلها صفات أهل النار، وهذا ما يستفاد من قوله ﷺ: « الحياء من الإيمان، والإيمان فى الجنة، والبذاء من الجفاء والجفاء فى النار»[5] والحياء يتمثل فى أداء حقه «مَن حفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، وذكر الموت والبلى، وترك زينة الحياة الدنيا فقد استحيا من الله حق الحياء»[6].

---

(١) رواه مسلم عن أبى داود بسند صحيح عن أبى هريرة ﷺ.
(٢) رواه أحمد عن أبى سعيد ﷺ - مرفوعًا.
(٣) فى رسالة قيمة للإمام أحمد بن تيمية عن (العبودية فى الإسلام) بسط القول عن العلاقة بين الإخلاص والعبادة، وبين الرياء والعبادة، ويوصى بالرجوع إليها لمزيد من التفصيلات.
(٤) رواه الشيخان وغيرهما عن أبى هريرة ﷺ (وهو عجز حديث طويل).
(٥) رواه أحمد بسند صحيح.
(٦) رواه الترمذى عن عبدالله بن مسعود ورواه الطبرانى عن عائشة ﷺ.

ويكون حياء المسلم من الله تعالى بعدم معصيته، أو التقصير فى طاعته «لأن الله تعالى أحق أن يستحيا منه من الناس»[1] ويكون حياؤه من الناس بألا يقصر فى أداء واجب لهم، وألا ينكر معروفًا، وألا يغلظ فى القول وبذئ الكلام، وألا يكشف لهم عورة، « وقد كان رسول الله أشد حياء من العذراء فى خدرها»[2] ونؤكد هنا أن حياء المسلم غير مانع له من قول حق، أو دفع ظلم، أو أمر بمعروف، أو نهى عن منكر. وعندما يتزع الحياء من المسلم تنزع منه الرحمة، ويهبط لمدراج الرذيلة؛ ويبتعد عن الخلق المميز لهذا الدين؛ وهو الحياء. كما أنه بفقده الحياء لا يبالى بشىء، وتتغلب أهواؤه ونفسه وأثرته الجامحة، ولا يخجل من الظهور برذيلة أمام الناس، ولا يخجل من نفسه، التى غُمست فى الشر.

إن الحياء هو الدين كله، وهو ملاك الخير، وعنصر النبل فى كل عمل، وهو مانع للمسلم من أن يصنع ما يشاء، وهو ضابط لأعماله وأقواله وزيه وسلوكه ومظهره.

وليس الحياء صفة ذاتية للمسلم فقط؛ وإنما المجتمع المسلم حييٌّ كذلك تُستر فيه العورات، وتؤدى فيه الحقوق، ويحافظ فيه على المشاعر، ويستحيا فيه من المعصية وفحش القول. ويتميز أفراده بحيائهم من الله تعالى، ومن الناس، وخجلهم من أنفسهم.

٤- **الصبر:** الصبر خلق للمسلم، يحبس فيه نفسه على ما تكره، ويتحمل فيه المكروه بالرضا والقول وقد أثنى الله تعالى على الصابرين ﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [البقرة : ١٥٥]. ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر : ١٠]. وقال ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ [الشورى : ٤٣]. وقال ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [البقرة: ١٥٣].

فالمسلم يصبر على طاعة الله تعالى، ويحبسها عن معصيته، وليس للجزع مقام فى نفسه، ولا للسخط محل فى سلوكه وردود أفعاله، ويكون كذلك الصبر على الضراء، فأمر المؤمن كله خير « إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له»[3] .

---

(١) رواه البخارى عن أبى هريرة ﷺ .
(٢) رواه البخارى عن أبى هريرة ﷺ .
(٣) رواه مسلم عن أبى هريرة ﷺ .

هو موقن أن الله تعالى مدخر له عنده الخير الكثير والجزاء العميم، يقول ﷺ: « ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه»[1].

إن الله يبتليه، اختبارًا له، فعِظم الجزاء مع عظيم البلاء، وإذا أحب الله قومًا ابتلاهم. وهذا الابتلاء هو تطهير للمسلم وعافية له؛ يقول ﷺ: «ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة فى نفسه وولده وماله حتى يلقى الله تعالى وما عليه خطيئة»[2].

ومُرشد المسلم وقدوته هو رسول الله ﷺ؛ الذى صبر على إيذاء قومه، ورغم ذلك كان يرد السيئة بالحسنة ولا ينتقم لذاته، وفى حياة صحابته رضوان الله عليهم صور ناطقة وأمثلة حية على صبرهم وتحملهم، واحتسابهم الأجر عند الله، وعدم الشكوى والسُّخط. وكان يقينهم أنهم بذلك يؤسسون دولة، ويضعون البنيان، وأنهم بذلك يستحقون السبق والفضل، كما حدث للسابقين الصابرين من بنى إسرائيل ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة : ٢٤].

وصور الصبر لدى المسلم كثيرة؛ فهو يصبر على الفقر وضيق العيش، انتظارًا لنعيم مقيم فى الجنة، ويصبر على المرض والبلاء؛ تكفيرًا لذنوبه، ورضا بقضاء الله، ويصبر على مجاهدة نفسه والانتصار عليها؛ مهما فتنته الدنيا وغرته بزخارفها. ويصبر على فقد الأهل والولد؛ لأن الله تعالى يعوضه خيرًا عن ذلك فى الدنيا والآخرة. كما قال ﷺ عن ربه تعالى: «ما لعبدى المؤمن عندى جزاء إذا قبضت صفيه (حبيبه) من الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة»[3].

ويتسم المجتمع المسلم بيقينه بقدر الله تعالى، وعدم السخط، مستعينًا بالطاعات، ومنتظرًا ما أعده الله للصابرين من جزيل الأجر، وعظيم المنزلة، وبيقينه بأن حكم الله نافذ، أصبر أم جزع، غير أنه مع الصبر يكون الأجر ومع الجزع يكون الوزر.

٥- التوكل: التوكل جزء من عقيدة المؤمن، وهو خُلق له ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة : ٢٣]. ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [إبراهيم: ١١]. ﴿ وَمَن

(١) رواه الشيخان وغيرهما عن أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة ﷺ .
(٢) رواه الترمذى بسند صحيح عن أبى هريرة ﷺ .
(٣) رواه البخارى عن أبى هريرة ﷺ .

﴿ يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ [الطلاق : ٣]. وليس التوكل قولاً بلا مضمون، ولكنه عمل واعتقاد وأخذ بالأسباب، وتفويض أمر النتائج إلى الله تعالى، والإيمان بالمشيئة ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [الإنسان : ٣٠].

وأخذ المسلم بالتوكل الحقيقى قولاً وعملاً وحركة، وهو فتح لأبواب الخير والرزق « لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصًا وتروح بطانًا»[١]، وهو سبيل لرضوان الله والفوز بجنته « يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير» أى المتوكلون[٢]، ومن الذين يدخلون الجنة بغير حساب المتوكلون « هم الذين لا يرقون، ولا يسترقون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون»[٣] .

ولذا ينافى توكل المسلم تعليق التمائم أو الودع أو القلائد؛ لأن هذا أدخل إلى الشرك، لأن مَنْ تعلق بشىء وُكِلَ إليه، وهو ليس بنافع له؛ لذا أنكر رسول الله ﷺ ذلك، وتلا قوله تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف : ١٠٦]. وأقر ضره لفاعله (لا يزيده إلا وَهَنًا).

وينافيه كذلك التبرك بحجر أو بشجر، والذبح لغير الله، والنذر لغير الله، والاستعاذة بغير الله، والاستغاثة بغير الله، والتوسل بولى إلى الله؛ لأن هذه الأعمال عُدت من الشرك.

وفى المجتمع المسلم يُؤخذ بالأسباب، وتُترك النتائج لله تعالى، وفيه كذلك يبتعد الأفراد عن مغيبات العقول، وعن الاستعانة بغير الله، ويتأدب فيه الأفراد مع الله، ويوجهون كل أعمالهم إليه سبحانه، ومتوكلين على خالقهم؛ الحى الذى لا يموت ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾ [الفرقان : ٥٨]، غير مستعينين بتمائم وقلائد، وغير معتمدين على عقولهم وحدها، ومُقدمين لمشيئة الله تعالى على كل ما عداها، ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس: ٨٢].

---

(١) رواه الترمذى عن عمر بن الخطاب ﷺ .

(٢) رواه مسلم عن أبى هريرة ﷺ .

(٣) رواه الشيخان وغيرهما عن ابن عباس رضى الله عنهما.

٦- **المجاهدة:** مجاهدة المسلم لنفسه، وبذله الجهد فى الطاعات هو تحقيق للهداية الحقة ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩]. وتكون المجاهدة مقيدة بالشرع الحكيم وصولاً إلى نقاء القلب والسريرة، والاستعانة فى سبيل ذلك بالطاعات مثل: قيام الليل، وذكر الله تعالى، وقراءة القرآن، والتدبر فيه، والابتعاد بالنفس عن إلف الراحة والكسل والشهوة والمتعة؛ لأن (الجنة حُفت بالمكاره وحفت النار بالشهوات)[١] (والمجاهد من جاهد نفسه فى ذات الله)[٢] .

وبذا فإن بذل الجهد يتغلب به المسلم على هوى نفسه؛ لتكون راحتها فى طاعة الله ورسوله « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به»[٣]. وهذا ما نجده – أيضا – فى قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ﴾ [النازعات : ٤٠-٤١].

والمسلم دائمًا مشغول بالتكاليف وبفعل الخير، وبذا فإن نفسه متطهرة دائمًا، فأداء العبادات مجاهدة، والالتزام بالآداب الإسلامية مجاهدة، والأخذ بالنوافل مجاهدة، والانتصار على النفس والشيطان مجاهدة، وابتعاد المسلم عن اللهو واللغو مجاهدة.

فالمجاهدة تصبح سلوكًا فى حياة المسلم عندما يتخلص من كيد الشيطان والنفس معًا.

وخالف النفس والشيطان واعصهما ... وإن هما محّضاك النصح فاتهم
ولا تطع منهما خصمًا ولا حكما ... فأنت تعرف كيد الخصم والحكم

وفى القرآن العظيم تجد نداءات متكررة بالمجاهدة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ ﴾ [المائدة: ٣٥]. ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ﴾ [الحج: ٧٨]. ﴿ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦]. ونجد جزاء ذلك فى عظيم هداية الله وفضله ﴿ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٗا وَأَعۡظَمَ أَجۡرٗاۚ ﴾ [المزمل: ٢٠].

---

(١) رواه الشيخان عن أبى هريرة ﷺ .
(٢) رواه الترمذى عن فضالة بن عبيد ﷺ .
(٣) ذكره النووى فى الأربعين النووية عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما.

ومن معانى المجاهدة أن يغتنم المسلم نعم الله عليه مثل: الصحة، والفراغ، والشباب، والعمر اغتنامًا عظيمًا، وأن يتقرب إلى الله بكثير الطاعات، وأن يطيل القيام والسجود، ويديم شكر الله تعالى، ويكثر من الحمد والتسبيح، ويقر بفضل الله عليه فى كل حين[1].

وتلمس مجاهدة المجتمع المسلم فى قوة أفراده، بانتصارهم على أنفسهم وأهوائهم، وتوجيه هممهم لفعل الخيرات، والإكثار من الطاعات؛ ولذا فليس للهو ولا للغو ولا للعبث ولا للشهوات الكاسرة ولا للنزوات العارمة مقام لا محل فيه؛ وإنما تجد الإقبال على ما يقرب للجنة من أعمال، وابتعاد عن الشهوات والملذات والمعاصى التى تلقى بصاحبها فى الجحيم.

٧- **الإحسان:** وهو خلق متعدد الاتجاهات، ورغم ما يبدو أنه أقرب إلى أخلاق القسم الأول إلا أن وضعه هنا آت من كون الإحسان خلقًا فرديًا؛ تلمس أثره فى العبادة والخشية (أن تعبد الله كأنك تراه) كما أن له جانبًا اجتماعيًا كذلك فى الإحسان إلى الآخرين كالوالدين والأقارب وكل المسلمين، والإحسان فى ذبح الحيوانات. فالإحسان له جانبان: أولهما فى باب العبادات؛ باستكمالها وفق شروطها وأركانها وسننها وآدابها، وثانيهما فى المعاملات، بإيصال الخير والبر لأهله، وكف الأذى عن الإنسان والحيوان.

وتجد نداءً من الله تعالى بتمثل ذلك فى قوله: ﴿ وَأَحْسِنُوٓاْ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [البقرة:١٩٥]. وقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ ﴾ [النحل: ٩٠]. و ﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ [البقرة: ٨٣].

ويتأتى الإحسان بشعور المسلم بالمراقبة، وأن الله تعالى مطلع عليه، وناظر إليه، ويراه فى كل حالاته، وهذا يجعله ساعيًا إلى إحسان العمل، وتأديته بالصورة المطلوبة، مستشعرًا وجود الله ومراقبته. يقول الله تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْاْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران: ١٧٢]. ﴿ وَإِن تُحْسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [النساء:١٢٨]. ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْأَخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [النحل: ٣٠]. ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ [النحل: ١٢٨].

(١) وردت الألفاظ المتصلة بالمجاهدة فى القرآن الكريم فى ثلاث عشرة آية، تأكيدًا لأهميتها وضرورة التزام المسلم بها؛ هذا بخلاف الألفاظ المتصلة بالجهاد التى وردت فى عشرين آية قرآنية.

﴿ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [يوسف: ٥٦]. ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩]. ﴿ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴾ [الذاريات: ١٦]. ﴿ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [النجم: ٣١].

ويتمثل إحسان المجتمع المسلم؛ فى عدم انفصام عقيدته الإيمانية عن سلوكيات أفراده ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ١١٢]. وفى إتقان أفراده لعملهم، واستشعارهم مراقبة الله لهم فضلاً عن المظاهر الاجتماعية الأخرى للإحسان.

٨- **التواضع:** وهو خلق إسلامى، يرتفع بصاحبه، دون مذلة أو مهانة، يقول الله تعالى لرسوله ﷺ: ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٥]. ووصف المؤمنين بقوله: ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [المائدة: ٥٤]. ونهى المؤمنين عن التعالى: ﴿ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ﴾ [الإسراء: ٣٧]. وامتدح المتواضعين ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [القصص: ٨٣].

ولأن التكبر والتعالى صفتان ذميمتان، فقد حُرمت الجنة على المتكبرين، وحصب جهنم هم المتكبرون « ألا أخبركم بأهل النار، كل عتل جواظ مستكبر»[١] « لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر»[٢].

ولأن التواضع سمة المؤمن؛ فقد تعهد الله برفعة أهله « وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله»[٣] ودعا إلى التخلق به، والأمر باتباعه « إن الله أوحى إلىّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغى أحد على أحد»[٤] .

ويبرز تواضع المسلم وخفض جناحه مع المؤمنين فى تلطفه فى المعاملة، وعدم تقدمه على أمثاله أو من يعلوه، وفى جلوسه إلى الفقراء والمساكين، وإجابة دعوة ذوى

---

(١) رواه الشيخان وغيرهما عن حارثة بن وهب ﷺ .
(٢) رواه مسلم عن عبدالله بن مسعود ﷺ .
(٣)رواه مسلم عن أبى هريرة ﷺ .
(٤) رواه مسلم عن عياض بن حمار ﷺ .

الحاجة، وألا يرى نفسه خيرًا من غيره، ويسلم مبتدئًا على مَنْ يستقبله، ويلبس فى غير مخيلة.

وفى المجتمع المسلم يُتأسى برسول الله ﷺ الذى كان فى مهنة أهله، ويسلم على الصبيان، وينهى أصحابه عن تعظيمه، وكان يخصف النعل، ويرقع الثوب، ويأكل مع الخادم، ويحلب الشاة، ويعقل البعير، وبذا لا يتعالى أحد على إخوانه؛ لأن التكبر خُلق أهل النار.

وفى المجتمع المسلم – أيضًا – تجد ذلة المؤمنين بعضهم للآخر، برحمة بعضهم لبعض، وعدم التفاخر بالأنساب أو المال أو الجاه أو الولد، وفى التلاقى بوجه طلق بشوش، وبالكلام الطيب، وفى تفريج كربتهم، وإجابة ملهوفهم، والرفق بهم، والقيام بحقوقهم، وعدم ضرهم أو المكر بهم، وعدم الشماتة بهم، ما يمثل صفاتٍ حقة لمجتمع؛ يتواضع فيه أفراده، ولا يبغى فيه أحد على أحد.

٩-١ مانة: مفهوم الأمانة فى الإسلام أوسع من أن يقتصر على حفظ الودائع، ولكنه يمتد لمعانٍ عظيمة؛ جماعها شعور المرء بتبعته فى كل أمر يوكل إليه، وإدراكه بالمسئولية أمام الله، والقيام بواجبات ذلك ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً ﴾ [الأحزاب: ٧٢]. كما يشمل الأمانة فى أداء العبادات، وفى الحديث، وفى الودائع، وفى الحُكم، وفى عدم الخيانة لكل ما تقدم.

والأمانة هى خلق المسلم، وأحد دلائل الإيمان «لا إيمان لمن لا أمانة له. ولا دين لمن لا عهد له»[١] كما أنها تبعة عظيمة « يا أبا ذر، إنك ضعيف، وإنها أمانة – وإنها يوم القيامة خزى وندامة؛ إلا من أخذها بحقها، وأدّى الذى عليه فيها»[٢] .

ولعظم الأمانة فإنها أول ما تُرفع إلى الله، وعندما تضيع الأمانة فإن ذلك دلالة على اقتراب الساعة (إذا ضُيعت الأمانة فانتظر الساعة. فقيل له: كيف إضاعتها! قال: إذا وُسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة)[٣] وتقتضى الأمانة اصطفاء أحسن الناس قيامًا

(١) رواه أحمد عن أنس بن مالك ﷺ .
(٢) رواه مسلم عن أبى ذر الغفارى ﷺ .
(٣) رواه البخارى عن أبى هريرة ﷺ .

للأعمال، وأن يحرص المرء على أداء واجبه كاملاً فى العمل؛ الذى يناط بـه. وخيانـة هـذه الأمانة إثمٌ عظيم؛ تعرض صاحبها لغضب الله، وتعرض الوطن للأذى. ومن الأمانة ألا يستغل الرجل منصبه فى منفعة له، أو لقرابته. ومن معانيها كذلك حفظ حقوق المجالس والأسرار، وحفظ الأسرار الزوجية، فنشرها من أعظم خيانة الأمانة.

وفى المجتمع المسلم تؤدى الأمانة إلى رعاية الحقوق، والعصمة من الـدنايا، وهـى الضمير اليقظ فى قلوب الرجال، وبذا فإن حمل الأمانة – بكل معانيهـا – لا يقـوم بـه إلا الرجال الأشداء، وهى قوام العمل فى المجتمع المسلم بل وقـوام العبـادات والمعـاملات (الصلاة أمانة، والوضوء أمانة، والوزن أمانة، والكيل أمانة)[1] .

وعنـدما تـضيع الأمانـة تجـد الخيانـة سـبيلها فى تـردى المجتمعـات، وانحـلال الشخصيات، وتدمير الكرامة، وهز الثقة، والإنذار بالفشل والخسارة، وموت الـضمير، وفقدان المسئولية.

١٠- الاعتـدال: وهو خلق إسلامى عظيم، ينتظم كل شئون المسلم، ويمثل سـمة لـه فى حياته، بالتوسط فى كل الأمـور؛ بـلا إفـراط أو تفـريط وهمـا مـذمومان، ويجافيـان الوسطية والاعتدال.

واعتدال المسلم فى عبادته يتـأتى مـن عـدم الغلـو والتنطـع، ومـن عـدم الإهمـال والتفريط، فقد ذم رسول الله ﷺ التشدد قائلا: « هلك المتنطعون»[2] وقال للثلاثة الـذين تقالوا عبادته « أما والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له لكنى أصوم وأفطر، وأصلى وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتى فليس منى»[3] وأوضـح طبيعـة هـذا الـدين « إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه»[4] .

وقد كان رسول الله مقتصدًا فى صلاته وفى خطبته، وأخبر أن أحب العمـل إلى الله أدومه وإنْ قل، وأرشد معاذًا إلى عدم إطالة الصلاة بالناس؛ تقديرًا لظروفهم؛ بـل وعـدّ ذلك فتنة «أفتان أنت يا معاذ»؟!

---

(١) رواه أحمد عن عبدالله بن مسعود ﷺ .
(٢) رواه مسلم عن عبدالله بن مسعود ﷺ .
(٣) رواه الشيخان وغيرهما عن أنس بن مالك ﷺ .
(٤) رواه البخارى عن أبى هريرة ﷺ .

ومن معانى الاعتدال كذلك التوسط فى أمور المعاش، بلا إسراف ولا تقتير ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴾ [الفرقان: ٦٧]. والتوسط فى اللباس بلا فخر ومباهاة ولا لبس الخشن والممزق. والتوسط فى السلوكيات وفى أمور الاقتداء والاهتداء.

ومن معانيه كذلك عدم تجاوز حدود الله تعالى بعد تعديلها؛ بالتقصير فى أدائها، أو تجاوزها والغلو فيها. أى الاستقامة الحقة، والتى أشار إليها قوله تعالى ﴿ وَأَلَّوِ ٱسۡتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسۡقَيۡنَٰهُم مَّآءً غَدَقٗا ﴾ [الجن: ١٦].

وقد كان الإفراط والتفريط هما دأب الأمم السابقة؛ ولذا فإن المجتمع المسلم يُقدر عظمة هذا الدين ويسره وضرورة الاعتدال فى العمل والعبادة والمعاش، وعدم الغلو؛ لأن هذا الدين متين، والإنسان الذى يُحمل نفسه ما لا تطيق لا أرضا قطع، ولا ظهرًا أبقى. والإسلام يحبب إلينا عبادة الله تعالى ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وترى اعتدالية المجتمع المسلم فى توسط أفراده واعتدالهم وعدم تشددهم، كما تراه كذلك فى عدلهم مع أنفسهم، وعدلهم فى اعتقادهم، وفى أقوالهم، وفى شئون حياتهم[1] .

١١- **العفاف:** المسلم لا يكون عبد بطنه أو نفسه؛ ليس همه الأكل والشهوات، ورص الموائد بما طاب من الطعام؛ لأن التشبع والامتلاء شرٌّ، يحول بين المسلم والإقبال على الطاعات؛ لأن شر وعاء يملؤه المرء إنما هو بطنه. والمؤمن – كما جاء فى الحديث – يشرب من إناء واحد، والكافر يشرب فى سبعة أمعاء.

ولأن المسلم صاحب نفس كبيرة، فإن همته عظيمة، ليست مرتبطة بفنون اللهو والملذات، ولكن يقين المسلم أنه مسئول عن النعيم وعن الاستمتاع بالطيبات يوم القيامة ﴿ ثُمَّ لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ [التكاثر: ٨]. ورغم ذلك فإن الشريعة تقر حق المسلم فى التنعم وفق شروط الطاعة ﴿ لَيۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٞ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ [المائدة: ٩٣].

---

(١) العدل خلق إسلامى يندرج ضمن الاعتدال، وإن كانت معانى العدل تأخذ دلالة فردية واجتماعية واسعة وقد أوضحنا الفروق بين العدل والاعتدال فى مؤلف منشور هو (العدل فى القرآن الكريم – دراسة لغوية تفسيرية – إحصائية).

كما تقرر مطالب البدن ورغباته بما لا يدخل فى نطاق المعصية ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾ [المائدة: ٨٧].

وعفاف المسلم عن الشهوات المادية ليس معناه الزهد والترهب، ولكنه التزام وغنى للنفس وترشيد لها؛ ذلك لأن الإسراف فيه ضر واقع بالمسلم؛ مادة وروحًا.

ويكون العفاف كذلك بعدم الإلحاح فى السؤال والطلب « لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله تعالى وليس فى وجهه مُزعة لحم»[1] ويكون فى عدم أخذ ما ليس للمرء من حقوق، ويكون بإعفاف الأهل وأداء مطالبهم الشرعية.

وفى المجتمع المسلم تجد صور العفاف فى التوازن فى تحقيق مطالب الجسد، وفى عفة الوجه واللسان وفى التعفف عن المحارم، والتعفف عن الزنا لغير القادرين على الزواج؛ حتى يغنيهم الله من فضله، والاستعانة على ذلك بالصيام.

وبعد أن عرضنا للقسم الثانى (أخلاق حميدة، يجب على المسلم اتباعها) فإننا نؤكد أن الصفات التى تناولناها منصبة على المسلم أساسًا، ورغم ذلك فلها مردودها الاجتماعى، وهى أخلاق تُميز المسلم بصدقه، وإخلاصه، وحيائه، وصبره، وتوكله، ومجاهدته، وإحسانه، وتواضعه، وأمانته، واعتداله، وهى كلها فضائل ومحامد عظيمة.

وا خلاق التى رصدناها فيما تقدم ليست هى كل أخلاق هذا القسم، إذ هناك أخلاقيات أخرى لم نذكرها، وهى متجهة إلى المسلم؛ مثل: حفظ السر، والمبادرة إلى الخيرات، ومحاسبة النفس، وسلامة الصدر، والتفكر فى عظيم مخلوقات الله، والزهد، والورع، وذكر الموت، والمراقبة، والخوف، والرجاء، والوقار، والسكينة، والرضا، والخشية، والسخاء والكرم، وطلاقة الوجه، والهداية، وتعظيم الله، والتوبة، والشكر.. إلخ، ولم نُفصل القول فى هذه الأخلاقيات؛ لأننا معنيون بتقديم نماذج خلقية فى كل قسم، مؤكدين – هنا – أن اتصاف المسلم بهذه الأخلاقيات الحميدة هو سمو للنفس والروح، وهو تأكيد على قرآنية المسلم وانقياده والتزامه، وهو إبراز لقوة البناء التحتى للأخلاقيات الفردية الحميدة.

وثم جانب آخر للأخلاقيات، وهو الأخلاق المذمومة المنهى عنها، والتى بالابتعاد عنها؛ يتكامل البناء القلبى للمجتمع المسلم، وهذا ما نفصله فيما يلى.

---

(١) رواه الشيخان وغيرهما عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما.

القسم الثالث: أخلاق ذميمة، ينبغى اجتنباها

نشير بداية إلى أن كل خلق حميد – فى القسم الثانى – له طرف آخر مذموم فالصدق مقابله الكذب وهو مذموم، والإخلاص مقابله الرياء، والحياء مقابله البذاءة، والصبر مقابله الجزع، والتواضع مقابله التكبر، والأمانة مقابلها الخيانة، والاعتدال مقابله الإفراط والتفريط، وهكذا..

كما أن كل خلق مذموم – مما سنعرض له – له مقابله المحمود؛ فالظلم نقيضه العدل.. وهكذا. والمسلم فى الحالتين باتباعه للخلق متجنب لمقابله المذموم.

والأخلاق الذميمة نؤكد فيها على الجانب الفردى لعلم المسلم، وهذا لا يقلل من جانبها الاجتماعى، وكينونتها الجماعية، والدالة على صلاح المجتمع؛ ليس بالتخلق بالجميل من الخلق فقط، وإنما بتجنب الرذيل والمذموم منها كذلك.

والأخلاق التى سنتناولها هنا؛ ليست هى مقابل (نقيض) كل خلق حميد سابق، ولكننا نعرض لأخلاق لا صلة لها بما تقدم؛ فتناولنا للخلق الحميد وتأكيدنا عليه هو دعوة إلى تجنب الخلق المذموم بداهة.

ويمكن تفصيل أخلاقيات هذا القسم فيما يلى (*1).

١- **الظلم:** ينأى المسلم عن الظلم، فلا يظلم ولا يُظلم، ولا يصدر عنه ظلم بأية صورة من صوره؛ فلا يظلم ربه بالكفر أو بالشرك ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان: ١٣]. ولا يظلم نفسه، بتلويثها بالمعاصى ﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [النحل: ٣٣]. وظلم العبد غيره، بأن يقتطع حقًا لامرئ مسلم، أو أن يستبيح دمه أو ماله أو عرضه ﴿ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴾ [الفرقان: ١٩]. وطاعة الشيطان ظلم، والتكذيب بآيات الله ظلم، والحكم بغير ما أنزل

(*) لعله من عناية السلف بالتأكيد على تجنيب المسلم هذه الأخلاقيات الذميمة أن أفردوا مؤلفات لها، وذلك مثل (كتاب الكبائر) للإمام الذهبى و(كتاب الكبائر) للشيخ محمد بن عبد الوهاب.. وغيرهما. نوصى القارئ الكريم بقراءة مثل هذه الكتب، التى تمثل زواجر هادفة فاعلة للنفس المسلمة، وزاجرة كذلك للعصاة والمنحرفين، وقائدة للراغبين فى سلوك طريق الله والحق والصواب.

الله ظلم، وكتمان الحق ظلم، وتجاوز الحدود ظلم، والغفلة عن الله ظلم، وهمز المسلم ولمزه والسخرية منه ظلم، ومطل الغنى ظلم؛ وأكل أموال اليتامى ظلم.. إلخ.

وهذه الصور للظلم يبغضها الله تعالى؛ لأنه سبحانه حرم الظلم على نفسه، وجعله بين العباد محرمًا، جعله ظُلمة يوم القيامة (اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة)[1]، (من كانت عنده مظلمة لأخيه: من عرضٍ أو من شيء فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم)[2]، (من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة)[3] ، (من ظلم قيد شبر من الأرض يطوقه من سبع أرضين يوم القيامة)[4] .

ولذا فإن الله تعالى يغضب للظلم وينتقم من أهله ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ [هود: ١٠٢]. ﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٢٧]. وقال ﷺ « إن الله ليملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته»[5] .

ونجد تحذيرات بأن نتجنب الظلم، ونتقى دعوة المظلوم، التى تُرفع إلى الله تعالى فيقول لها: (وعزتى وجلالى لأنصرنك ولو بعد حين)[6] كما أن رسول الله يكون خصيم الظالم يوم القيامة وحجيجه.

كما نجد تحذيرات أخرى بألا نخالط الظالمين أو نعاونهم ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ ﴾ [هود: ١١٣].﴿ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ ﴾ [الصافات: ٢٢]. أى وأشباههم وأمثالهم وأتباعهم.

ولكل ما تقدم فإن المسلم يبتعد عن الظلم بكل صوره، وذلك لطبيعته العادلة السوية، ووقاية لنفسه من عواقب الظلم فى الدنيا والآخرة.

---

(١) رواه مسلم عن جابر بن عبدالله ﷺ .
(٢) رواه البخارى عن أبى هريرة ﷺ .
(٣) رواه مسلم عن إياس بن ثعلبة الحارثى ﷺ .
(٤) رواه البخارى ومسلم عن عبدالله بن عباس رضى الله عنهما.
(٥) رواه البخارى ومسلم عن أبى موسى الأشعرى ﷺ .
(٦) رواه أحمد عن أبى هريرة ﷺ .

والمجتمع المسلم – بتنفيذه لتعاليم الله – لا يُظلم فيه أحد، ولا تضيع فيه الحقوق، ويؤخذ فيه على يد الظالمين، ويُنتصر فيه للمظلومين، ولا يقع فيه الظلم بإحدى صوره السابقة.

٢- **شهادة الزور:** للكلمة مسئوليتها وخطورتها لدى المسلم، وهو مسئول عن كل ما يتلفظ به ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق: ١٨]. ومخالفة كلام المسلم لما شاهد وعاين هو زور محقق نهى الله المؤمنين أن يتسموا به ﴿ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴾ [الحج: ٣٠]. وجعل عباد الرحمن بعيدين عن ذلك ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ ﴾ [الفرقان: ٧٢].

ودين المسلم كما يحتم ألا يكتم الشهادة ﴿ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ﴾ [البقرة: ٢٨٣]. فإنه يفرض عليه الصدق فى شهادته؛ لأنه إن فعل ذلك أدخل نفسه فى دائرة الكبائر « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قلنا: بلى يا رسول الله. قال: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين. وكان متكئًا فجلس فقال: ألا وقول الزور فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت»[١] « عدلت شهادة الزور الشرك بالله تعالى مرتين»[٢] كما أن شهادة المسلم للزور معصية، تستوجب عقاب الله يوم القيامة « لن تزول قدما شاهد الزور يوم القيامة حتى تجب له النار»[٣].

وأنت ترى أن شاهد الزور ارتكب عدة معاص، أبرزها: الكذب، والافتراء، وإيقاع الظلم على من شهد عليه، وظلم من شهد له بأن أعطاه ما ليس له، فتجب له النار « من قضيت له من مال أخيه بغير حق فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة من نار»[٤] وهى كلها آثام وكبائر وقبائح.

والمسلم يوقن بوقوعه فى المعصية عندما يقول الزور؛ ولذا فإن مخافته من الله، وإقداره لعقابه، وخطورة كلمته تحول بينه وبين هذه الكبيرة.

---

(١) رواه البخارى ومسلم عن أبى بكرة ﷺ.
(٢) رواه أبو داود والترمذى عن ابن مسعود ﷺ.
(٣) رواه ابن ماجة والحاكم عن ابن عمر رضى الله عنهما.
(٤) رواه الشيخان وغيرهما عن أم سلمة رضى الله عنهما.

وفى المجتمع المسلم ينأى الأفراد بأنفسهم عن الزور من الكلام والمشاهدة؛ وبعدهم عن الكذب والافتراء والظلم هو تحقيق لمعانى الإيمان والاستجابة والهداية ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ ﴾ [غافر: ٢٨].

٣- **الغضب:** وصف الله تعالى عبادة المتقين بقوله : ﴿ والكاظمين الغيظ ﴾ أى الذين: يمسكون غضبهم، ويضبطون أنفسهم فى كل حال ابتغاء وجه الله تعالى؛ ذلكم لأن المرء عندما يغضب فإنه قد يُخطئ، وقد يستخدم القبيح من الألفاظ، وقد يضيع حقوقًا، وقد يسيئ لنفسه وللآخرين، ولذلك جمعت وصية رسول الله ﷺ للصحابى بقول (لا تغضب)[١] وعدّ رسول الله ﷺ ضبط المسلم لنفسه من أفضل الأعمال «ما تجرع عبد جرعة أفضل عند الله من جرعة غيظ يكظمها، ابتغاء وجه الله تبارك وتعالى»[٢] وعد – كذلك – كظم الغيظ من مقاييس القوة والصلابة (ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب)[٣] .

ولأن كظم الغيظ فيه تغلُّب على النفس، ونقلةٌ من فضيلة (الكظم) إلى رذيلة (الغضب) فقد رفع الله تعالى من شأن فاعليه، ووعدهم بجزيل الثواب والأجر «من كظم غيظًا، وهو يستطيع أن ينفذه دعاه الله تعالى يوم القيامة على رءوس الخلائق؛ حتى يخيره من أى حور العين شاء»[٤].

وقد أوضحت الأحاديث النبوية سُبل كظم الغيظ، وقدمت معينات للتغلب على الغضب؛ منها الوضوء « إن الغضب وإن الشيطان خلق من النار، إنما تطفأ النار بالماء فإذا غضب أحدكم فليتوضأ»[٥]، ومنها تغيير وضع الجسم « إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس؛ فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع»[٦]، ومنها الاستعاذة « إنى لأعرف كلمةً لو قالها لذهب عنه ما يجد من الغضب: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»[٧].

---

(١) رواه البخارى عن أبى هريرة ﷺ .
(٢) رواه الشيخان وغيرهما عن أبى هريرة ﷺ .
(٣) رواه أحمد عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما.
(٤) رواه أبو داود والترمذى عن معاذ بن أنس ﷺ.
(٥) رواه أبو داود عن أبى وائل ﷺ.
(٦) رواه أبو داود عن أبى ذر الغفارى ﷺ .
(٧) رواه أبو داود والترمذى عن معاذ بن جبل ﷺ .

والمسلم قوى النفس والعزيمة والإرادة، وهو بذلك متغلب على نفسه، موجه لها، لا يتعجل فى ردود أفعاله، وإنما يكظم غيظه، ابتغاء الأجر والثوب.

وفى المجتمع المسلم لا ينفعل الأفراد لتوافه الأمور، ولا تأخذهم عواصف النفس الهوجاء، ولا تطيح بهم الشياطين؛ ولا تجد مُدخلاً لنفوسهم، ولا تصيرهم كلمات عابرة، وبذا تنضبط انفعالاتهم وأفعالهم، ويتغلبون على شياطينهم، مستعينين بإيمانهم وقوة نفوسهم وترفعهم عن الصغائر والموبقات.

٤- **الحسد:** المسلم محب الخير لغيره، بل يؤثر الآخرين على نفسه، وبذا فإنه لا يحسد أحدًا، ويبغض هذا الخلق ويمقته؛ لأنه اعتراض على قسمة الله وفضله ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ [النساء: ٥٤]. ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [الزخرف: ٣٢].

وصورتا الحسد مذمومتان، سواء أكان ذلك بتمنى زوال النعمة عن الغير، وحصولها له، أو كان بتمنى زوالها ولو لم تحصل له، والمسلم لا يحسد ولكنه يغتبط، متمنيًا تحصيل نعمة خيرية «لا حسد إلا فى اثنتين رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته فى الحق، ورجل آتاه الله الحكمة، فهو يقضى بها ويعلمها»[(١)]. والحسد هنا الغِبطة، وهو أن يتمنى مثله، وهذا محمود بل ومرغوب.

لقد أمرنا الله تعالى بالاستعاذة من الحسد والحاسدين، ذمًا لفعلهم ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ [الفلق: ٥]. وجعل مرده إلى النفس الخبيثة ﴿ حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم ﴾ [البقرة: ١٠٩].

ونهى رسول الله ﷺ عن الحسد «ولا تحاسدوا»[(٢)] وجعله سببًا لإذهاب الحسنات؛ ولذا جاء التحذير منه، بما فيه الردع والزجر « إياكم والحسد، فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب أو قال: العشب»[(٣)] .

---

(١) رواه الشيخان عن عبد الله بن مسعود ﷺ .
(٢) جزء من حديث جامع، رواه الشيخان وغيرهما عن أنس ﷺ .
(٣) رواه أبو داود عن أبى هريرة ﷺ .

والمسلم يرتقى بنفسه، وإن غالبه خاطر بشرى بشىء من ذلك، فإنه يقاومه بنفسه الكريمة، وبعزيمته، ومقاومته لنزعاتها، وبراحتها فى الطاعة؛ لأنه لا راحة لحسود.

وفى المجتمع المسلم تجد الاغتباط والغبطة وتمنى النعمة دون أن يرتبط ذلك بالنظر لما عند الغير. وقناعة الأفراد ورضاؤهم بما أعطاهم الله، وبما رزقهم يجعلهم أكثر راحًة وقناعةً بما وهبهم الله سبحانه، وبذا فليس ثمة تعلق بما أعطاه الله لغيرهم. وبذا ينافى إيمانهم أن يتحاسدوا، ففى الحسد ألم للقلب ومساءته، وفيه العداوة والبغضاء، وخبث للنفس وشحها.

٥- العجب(*): وهو خلق مذموم فى كتاب الله، وسبب للهلاك ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ وفيه أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا ﴾ [التوبة: ٣٥]. وهو نوع من التباهى بالنفس فى غير محله ﴿ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ ۖ ﴾ [النجم: ٣٢]. وفيه استعظام للعمل، يُحبطه ﴿ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

والمسلم لا يتسم بالعجب ولا بالغرور؛ لأن ذلك من معوقات الكمال، ومن أعظم المهالك، فقد تنقلب النعمة إلى نقمة، والعز إلى ذل، والقوة إلى ضعف. فقد أعجب إبليس بنفسه، فحلت عليه اللعنة، وأعجب قوم عاد بقوتهم فأذاقهم الله عذاب الخزى، وأعجب أصحاب رسول الله ﷺ بكثرتهم فأصيبوا بهزيمة مريرة.

وصور العُجب كلها مذمومة، اغترارًا بالعلم وبكثرة المعارف، وهذا يدفع صاحبه إلى عدم الاستزادة من العلم، واحتقار غيره. وإعجابًا بوفرة المال وكثرة العرض؛ مما يدفع صاحبه للتعالى على الخلق. وعجبًا بالقوة والسلطان. وعجبًا بالعبادة وكثرة الطاعات، وهذا يُحبط العلم ويزهقه.

لأن آفات العجب كثيرة فقد عُدّ من المهلكات (إعجاب المرء بنفسه)؛ لأنه هلاك لصاحبه؛ إذ ينسيه ذنوبه، فلا يجتهد فى إزالتها، كما أنه يأمن مكر الله، ويحمد نفسه ويزكيها، ولا يسمع لناصح ولا واعظ.

(*) فى الأدبيات العربية – التراثية – نصوصٌ غايةٌ فى الروعة والبيان فى ذم العُجب، واعتباره داء ومنها ما ذكره ابن حزم الأندلسى فى كتابه (طوق الحمامة) عن مصادر عجب الإنسان بنفسه، فحللها ونقدها وأبان وجه الفساد فيها. (وفى الرجوع إلى النص الأصلى كثير فائدة للقارئ المسلم إن شاء الله تعالى).

والمسلم لا يعجب بنفسه؛ لأنه إن أعجب ببدنه أو بقوته أو بفطنته أو بنسبه أو بكثرة عدده أو بماله أو برأيه فهذه كلها إلى زوال، وهو يوقن أن إعجابه بشيء مما تقدم سبب لهلاكه، وهو مقرٌ بفضل الله عليه فى كل شيء، وينسب الفضل لخالقه ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا ﴾ [النور: ٢١].

وفى المجتمع المسلم يحول علم الأفراد دون عُجبهم؛ لأن العُجب دلالة على الجهل، وتعبير عن قصر النظر؛ لأن النعم قد تتحول إلى نقم. وقد يحبط الله العمل لعجب أصحابه به. . فبدلا من أن يُعجب بالنعم عليه أن يؤدى شكرها وحق الله فيها.

ويقين المسلم بأن ما أعطاه الله من نعم قد يسلبها منه – لو شاء سبحانه – وأن طاعته لله مهما كثرت لا تساوى شيئًا مما أنعم الله به، وأن ما لديه من نعم إنما هو من فضل الله وعطائه. هذا اليقين ينأى بأفراد المجتمع المسلم عن العجب والاغترار والتباهى والتفاخر والتعالى.

٦- **البخل:** وهو خلق قبيح مذموم ﴿ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠ وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ﴾ [الليل: ٨-١١]. فالشح غلبة للنفس ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [التغابن: ١٦]. وهو شر ووبال ﴿ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [التوبة: ٣٤]. ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [آل عمران: ١٨٠].

لقد أفادت الأحاديث النبوية أن البخل مهلكة « اتقوا الشح فإنه أهلك من كان قبلكم؛ حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم»[١] وأن العطاء والكرم خيرٌ لصاحبه (إنك إن تبذل الفضل خيرٌ لك وإن تمسكه شر لك)[٢] وهو وقاية من النار «اتقوا النار ولو بشق تمرة»[٣] .

---

(١) رواه مسلم عن جابر ﷺ .
(٢) رواه مسلم عن صدى بن عجلان ﷺ .
(٣) رواه الشيخان عن عدى بن حاتم ﷺ .

والمسلم لا يكون بخيلاً؛ لأن البخل قسوة للقلب، وسوء للخلق، وطمع زائد، وحرص مقيت، ومنع للحق، وتفريط فى حق المحتاجين، واغترار بالمال وفرح به، وإمساك للفضل عن أهله « اللهم أعط ممسكًا تلفًا»[1].

ونقرر أن الإسلام يقوم على البذل والعطاء، ويحبب النفس السخية، واليد الندية، ويحث على المسارعة إلى وجوه البر، وفعل الخير، وإسداء العون، وصنع المعروف، والمال عون فى كل ما تقدم؛ ولذا فإن نجاح المسلم فى إزالة عوائق البخل وشح النفس، التى تعترض طريق الخير هو فضيلة كاملة، وهو سمو استحق تكفير الذنوب ﴿ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ﴾ [البقرة: ٢٧١]. وهو مضاعفة للمال ﴿ يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾ [التغابن: ١٧]. وإطفاء لغضب الرب سبحانه، وإبطال لكيد الشيطان ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ﴾ [البقرة:٢٦٨].

والمسلم بعيد عن البخل؛ لأنه يعلم أن المال أمانة عنده، وليس له منه إلا ما أكل فأفنى، أو لبس فأبلى، أو أعطى فأقنى (أبقى)، وما سوى ذلك سيرثه غيره ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ﴾ [النحل: ٩٦]، ورغم دعوة الشريعة بصون الذرية من الفقر، ومنعهم من العيلة؛ لكن ذلك لا ينبغى أن يتم على حساب المسلم وخلقه؛ لأنه من الحماقة أن يُضحى بنفسه وبرضوان الله، ليدخر لغيره من بعده.

كما أن البخل بالحقوق وكنزها للأولاد لا يمحو فقرًا، ولا يضمر غنى، ولا يقبل من صاحبه عُذراً يوم القيامة.

وفى المجتمع المسلم ترى آثار البذل والكرم والسخاء فى مساعدة الفقراء والبؤساء وفى تجاوز شح النفس، وبذل المال، وإعطاء القرض الحسن، الذى يخلفه الله بالخير على فاعليه ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ [سبأ: ٣٩].

وقناعة أفراده بأن حطام الدنيا سوف يدعونه لوارث السموات والأرض، وأنهم سيدخلون قبورهم بلا مال ولا جاه، وأنهم سيلقون ربهم عراة، هذه القناعة تجعل التشبث بالمال والتفانى فيه عبث محقق.

---

(١) رواه الشيخان عن أبى هريرة ﷺ .

٧- الفساد: وهو خلق يستوجب غضب الله ﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [المائدة: ٦٤]. ونهى الله تعالى عن الفساد ﴿وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ [البقرة: ٦٠]. ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ﴾ [الأعراف:٥٦]. ﴿ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [القصص: ٧٧].

وحذر عباده من الفساد، لخطورة عاقبته ﴿ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [الأعراف: ١٠٣]. ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [يونس: ٨١]. وأوضح جزاءهم فى الدنيا ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ ﴾ [المائدة: ٣٣]. وفى الآخرة لا نصيب لهم فى الجنة ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ﴾ [القصص: ٨٣].

وأعظم أنواع الفساد الكفر والبعد عن سبيل الله، والصد عنه، والانحراف عن الصراط المستقيم ﴿ وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾ [الشعراء: ١٥١- ١٥٢].

وهناك فساد الباطن، بادعاء الصلاح، وذلك بمخادعة أنفسهم ﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ [البقرة: ١٢]. وفسادهم راجع لاتباع أهوائهم بدون هدى من الله ﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ﴾ [المؤمنون: ٧١].

ومن الفساد إفساد ذات البين بين المسلمين، بالوشاية والسعاية بالنميمة، ومن الإفساد إيذاء المسلمين وترويعهم ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب: ٥٨]. وسبهم والغدر بهم وتحقيرهم.

وهناك فساد مادى، بإيقاع الظلم بالمسلمين، أو سرقة أموالهم، أو نهبها، أو الإهمال فيها. ويكون كذلك بقطع الطريق وإخافة السبيل وترويع المار.

والمسلم لا يفسد فسادًا ظاهرًا أو باطنًا؛ لأن الإصلاح هو خلقه وديدنه ﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [ص: ٢٨]. وبذا فإنه يتجنب كل صور الفساد السابقة، ولا يخالط أهلها ﴿ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٢]. ويقينه بسوء عاقبة المفسدين، وبفطرته السوية، وباستقامته مبتعد عن الفساد والإفساد، الذى استوجب عقاب الله لفرعون ﴿ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [يونس: ٩١]. ولقوم ثمود ﴿ ٱلَّذِينَ طَغَوْاْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝ فَأَكْثَرُواْ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴾ [الفجر: ١١-١٢].

وفى المجتمع المسلم يُبتعد عن الفساد – بصوره السابقة – استجابة لنداء الحق ﴿ وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾، ورغبة فى محبة الله ﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾، وبعدًا عن سوء العاقبة ﴿ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾.

ومقتضيات الإسلام يتسق معها عدم الفساد فى الأرض، لمنافاة ذلك لواجبات الاستخلاف فى الأرض، ومنافاة ذلك لطبيعة المسلم، الذى سلم المسلمون من لسانه ويده فلا يفسد لسانه بين الناس، ولا تفسد يداه فى الأرض.

٨- **الحقد:** فساد القلب داء ومرض، فالقلب الأسود يفسد الأعمال ويحبطها؛ لذا فإن المسلم مخموم القلب وهو (التقى النقى، لا إثم فيه ولا بغى، ولا غل ولا حسد)[١]؛ لأنه عندما يتسرب الحقد إلى قلبه، وعندما تنمو الضغائن فى داخله فإن الإيمان يتسرب كذلك من هذا القلب. وكلما تمكنت الأحقاد من القلب زاده قسوة وجفاء وعنادًا وبعدًا عن الله تعالى.

وفى الأحاديث النبوية نجد توجيهات عظيمة، من شأنها إبعاد المسلم عن الحقد والغل « لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا»[٢]، « لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال»[٣]، ودلت على أن ذلك من عمل الشيطان « إن الشيطان قد يئس أن يعبده المصلون فى جزيرة العرب، ولكنه لم ييأس من التحريش بهم»[٤]، ودلت على أن ذلك من

---

(١) رواه ابن ماجة عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما.
(٢) رواه البخارى عن أنس ﷺ.
(٣) رواه الشيخان عن أبى أيوب ﷺ.
(٤) رواه مسلم عن جابر ﷺ.

شر الأعمال « .. أفلا أنبئكم بشر من ذلك ! قالوا: بلى إن شئت يا رسول الله قال: من يبغض الناس ويبغضونه»[1] .

وقد أوضح القرآن سمات التباغض والحقد لدى الكفار بقوله: ﴿ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ ﴾ [آل عمران: ١١٨]. ﴿ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ ۚ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ ﴾ [غافر: ٥٦]. وفى المقابل جعل من سمات التفاضل فى الجنة نقاء صدور أهله ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ ﴾ [الأعراف: ٤٣]. ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴾ [الحجر: ٤٧]. وجعل من سمات المؤمنين شفاء صدورهم ﴿ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة: ١٤]. ﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ﴾ [التغابن: ١١].

والمسلم لا ينبغى له أن يحقد، فسلامة الصدر تفرض عليه تمنى الخير للناس، كما أنه يأسى لآلام العباد، ويرجو لهم العافية، أما الانشغال بكشف الستور، وإبداء العورات، وسرد الفضائح، فهذا لا يقوم به مسلم حق، فالإسلام شرع آدابًا لحفظ المودات، وإتقاء الفرقة، وتحريم الغيبة والنميمة وكلها تقى المسلم من أمراض القلوب[2].

ولا يجتمع فى قلب مسلم سوء الظن، وتتبع العورات، واللمز، وبغض عباد الله والرغبة فى إذلالهم فالله تعالى مطلع على صدور العباد، وهذا يجعل المسلم فى منأى عن الحقد والغل ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [المائدة: ٧]. ﴿ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [العنكبوت: ١٠].

كما لا يجتمع فى قلبه الشحناء والحسد والضغانة، فهو لا يبيت حاقدًا على أحد ولا ضاغنًا على مسلم؛ لأن هذا يناقض الإيمان الصحيح؛ لأن حقده هو فساد ليقينه الكامل بأنه لن ينال من الدنيا إلا ما قدره الله له، وأن غله وحقده يورثان عليه الفاقة وسوء الظن والانشغال بالآخرين، وهذا ضعف فى اليقين، وجهل بواجبات اليقين ومستلزماته.

---

(١) رواه الطبرانى عن ابن عباس رضى الله عنهما (وهو جزء من حديث طويل عظيم).

(٢) عنى السلف بأمراض القلوب وأقسامها وعلاجها، ونوصى القارئ الكريم بمطالعة أمثال هذه المؤلفات، لأن فيها رصدًا لخفايا القلوب وأسرارها وحياتها وصحتها. ومن ذلك مؤلف ابن قيم الجوزية (إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان) ففى الجزء الأول منه فصل القول عن أقسام القلوب وعلامات مرضها ودوائها وزكاتها وعلاجها .. إلخ.

٩- الغـــش: المسلم ينصح لإخوانه، ويحبهم، وبـذا فليـس لـه أن يغـش أحـدًا؛ لأن ذلك قبح لا يكون للمسلم، فطهارة نفسه المكتسبة من إيمانـه وعملـه الـصالح تنـافى هـذا الخلـق الذميم، الذى هو شر محض وقـد نهانـا الله عـن ذلك ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب: ٥٨]. ﴿ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ﴾ [فاطر: ٤٣].

وفى الأحاديث النبوية تعضيد لذلك «من غشنا فليس منـا»[١] ونهـى عـن خديعـة المسلم « من بايعت فقل لا خِلَابةَ»[٢] والخلابة أى الخديعة.

ومن صور الغش – وكلها قبيحة – تزيين المسلم لأخيه القبيح أو الفاسد ليقع فيه، وأن يريه ظاهر الشىء؛ الطيب الصالح، ويخفى عليه باطنه الخبيث الفاسد، وأن يغشه فى مشاعره بأن يظهر له خلاف ما يضمره، وأن يعمـد إلى فـساد مالـه عليـه، أو زوجـه، أو ولده، أو صديقه بالوقيعة والنميمة، وأن يعاهد على حفظ نفس أو مال أو كـتمان سر ثـم يخونه ويغدر[٣].

وهناك غش آخر ذميم؛ بأن يغش الإمام رعيته، ويظلمهم، ولا يقـوم بمـسئوليته. وهذا عمل يستوجب عذاب الله تعالى يوم القيامة « أيما راع غش رعيته فهو فى النار»[٤] .

«ما من عبد استرعاه الله رعية ثم لم يحطها بنصيحة؛ إلا لم يجـد رائحـة الجنـة»[٥]، « من ولاه الله شيئًا من أمور المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وفقـرهم احتجـب الله دون حاجته وخلته وفقره»[٦] .

وعلى المسلم أن يبتعد عن كـل صـور الغـش الـسابقة؛ لأنهـا مـن عمـل المنـافقين وضعاف اليقين، فأنى لمسلم أن يخدع أخاه وهو جزء منه! وأنى لـه أن يغـش والله تعـالى

---

(١) رواه مسلم عن أبى هريرة ﷺ .
(٢) رواه الشيخان عن أبى هريرة ﷺ .
(٣) أبو بكر الجزائرى: منهاج المسلم، القاهرة، دار عمر بن الخطاب، ب ت. ص ١٦٤ .
(٤) رواه الطبرانى عن أنس ﷺ .
(٥) رواه البخارى عن معقل بن يسار ﷺ .
(٦) رواه أبو داود والترمذى عن عمرو بن مرة ﷺ .

مطلع عليها، وأنى له أن يقبح نفسه بعد أن طهره الله بالإيمان، وبعد أن صفت نفسه، وشرح الله صدره للإسلام!

١٠- **الجدل:** المسلم لا يجادل بل يدلى بحجته، ولا يقول إلا بعلم وحق، ولا يسفه رأى الآخرين، ولا يسعى للتغلب عليهم بالباطل، ولا يدفعه الجدال إلى رفض حجة الآخرين إذا كانت حقًا، وإذا وجد أن منطق الباطل مستمر لدى غيره، وكرهوا قبول الحق الذى بينه، فعليه السكوت، وهو كذلك لا يتصدى للجدال فى شىء لا يعلمه بل يحيله إلى مَنْ يعلمه. وإن خاصم لا يخاصم إلا بحق، ولا تدفعه الخصومة إلى عداء الآخرين، بل يحتفظ بمودته، يبقى هينًا لينًا (إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخَصِم)[١] الخصم أى المجادل.

والإسلام لا يرفض الجدال بالحق، ﴿ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾ [النحل: ١٢٥]. ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ [العنكبوت: ٤٦]. ولكنه يرفض الخصومة واللجاج بغير الحق﴿ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ﴾ [الكهف: ٥٦]. ﴿ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ﴾ [الحج: ٨]. ﴿ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ ﴾ [غافر: ٣٥]. ﴿ وَيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٖ﴾ [الشورى: ٣٥].

ونجد أحاديث عديدة، تنهى عن الجدل، وتعتبره إحدى صور الضلال « ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل»[٢]، « المراء فى القرآن كفر»[٣]، والمراء أى الجدال. « أخوف ما أخاف عليكم زلة عالم وجدال منافق فى القرآن»[٤]، « مَنْ ترك المراء وهو مبطل بنى له بيت فى ربض الجنة – ما حولها – ومن تركه وهو محق بُنى له فى وسطها، ومن حَسن خلقه بنى له فى أعلاها»[٥] .

---

(١) رواه الشيخان وغيرهما عن عائشة رضى الله عنها.

(٢) رواه الترمذى عن أبى أمامة ﷺ .

(٣) رواه أبو داود وابن حبان من حديث أبى هريرة ﷺ .

(٤) رواه الطبرانى عن معاذ ﷺ .

(٥) رواه الترمذى عن أبى أمامة ﷺ .

وفى الأدبيات الإسلامية تحذير من المراء – الجدل – قال بلال بن سعيد: إذا رأيت الرجل لجوجًا ماريًا معجبًا برأيه فقد تمت خسارته. وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه: إن الخصومة لها قحم أى مهلكة. وقال ابن عباس رضى الله عنهما: لا تمار أخاك فإن المراء لا تفهم حكمته، ولا تؤمن غائلته.

وأنت ترى أن المجادلة المحظورة بالترفع بإظهار العلم، والتهجم على الغير، وتهييج الغضب، وإشعال الفتنة، وتوريث الخصومة، وكثرة الشجار والخلاف، كلها مُهلكات ورذائل.

ولذا فالمسلم لا يجادل بالباطل، ولا يلج فى الخصومة، ولا يعاند فى الحق، ولا يؤذى مُحدثه، ولا يظهر لدودًا وتسلطًا نحوه، فالحكمة هى ضالته، وإيصالها للآخرين لا يكون إلا بحق وقبول وضبط للسان بعيدًا عن الخصومة، وتوغر الصدور، وتهييج الغضب، وإذهاب المروءة، قال بعضهم: (ما رأيت شيئًا أذهب للدين ولا أنقص للمروءة ولا أشغل للقلب من الجدال والخصومة).

١١- آفات اللسان: المسلم يعلم أن خطر اللسان عظيم ولا نجاة منه إلا بالنطق بالخير « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت»[١]، « من يضمن لى ما بين لحييه – أى لسانه – وما بين رجليه – فرجه – أضمن له الجنة»[٢]، «..وهل يُكب الناس فى النار على مناخرهم إلا من حصائد ألسنتهم»[٣]. « إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تكفر اللسان، تقول: اتق الله فينا، فإنما نحن بك: إن استقمت استقمنا وإن اعوججت اعوججنا»[٤]. وقال الرسول الكريم ﷺ لعقبة بن عامر عندما سأله عن النجاة « أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك»[٥]، « إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما يُلقى لها بالاً يرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى لا يلقى لها بالاً يهوى بها فى جهنم»[٦] .

---

(١) رواه الشيخان وغيرهما عن أبى هريرة ﷺ .
(٢) رواه الشيخان عن سهل بن سعد ﷺ .
(٣) رواه الترمذى عن معاذ بن جبل ﷺ .
(٤) رواه الترمذى عن أبى سعد ﷺ .
(٥) رواه الترمذى عن عقبة بن عامر ﷺ .
(٦) رواه البخارى عن أبى هريرة ﷺ .

وسبيل النجاة والهداية يكون بحفظ اللسان إلا عن كلام تبدو فيه المصلحة، فمعظم مصائب العباد ومعاصيهم تتحقق باللسان؛ ولذا رأينا فى الأحاديث السابقة أن الإيمان وحفظ اللسان قرينان وأن طريق السلامة والنجاة لا يكون إلا بإمساك اللسان، وأن أعمال أعضاء الجسد كلها مرتبطة باللسان، وأن حفظ اللسان نجاة من عذاب الله تعالى يوم القيامة.

ويتأتى الإسلام الحق بتجنب آفات اللسان وهى كثيرة، ومنها الكلام فيما لا يعنى، وترك فضول الكلام، إلا بأمر بمعروف أو نهى عن المنكر، والخوض فى الباطل، والمراء والخصومة، والتقعر فى الكلام، والثرثرة، والفحش والسب وبذاءة اللسان، واللعن، والمزاح بالباطل، وإفشاء السر، والوعد الكاذب، واليمين الغموس، والكذب فى القول، والغيبة، والنميمة، وكلام ذى الوجهين، والمدح بالباطل والغضب، وشهادة الزور، وقذف المحصنات، والحكم بالباطل، وسب المسلم.. إلخ.

وكل آفة مما تقدم تمثل ذنبًا وإثمًا، ويكفينا حصرها فقط، والتأكيد على أن اللسان هو مصدر كل هذه الآفات ونجد فى التراث أقوالاً عظيمة فى ذلك، تؤكد خطورة اللسان وضرورة إمساكه.. فقد كان أبو بكر الصديق ﷺ يضع حصاة فى فيه، ويمنع نفسه عن الكلام، ويشير إلى لسانه قائلاً: هذا الذى أوردنى الموارد. ويقول عبد الله بن مسعود ﷺ: والله الذى لا إله إلا هو ما شىء أحوج إلى طول سجن من لسان. وقال الحسن: ما عقل دينه مَنْ لم يحفظ لسانه. قال النخعى: يهلك الناس فى فضول المال والكلام. وقال أيضًا: الإكثار من الكلام الذى لا حاجة إليه يوجب قساوة القلب. وقال عمر بن الخطاب ﷺ، من كثر كلامه كثر سقطه، ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه، ومن كثرت ذنوبه كانت النار أولى به. وقال سميط بن عجلان. يا بن آدم إنك ما سكت فأنت سالم، فإذا تكلمت فخذ حذرك إما لك وإما عليك . وقال وهب بن منبه: أجمعت الحكماء على أن رأس الحكمة الصمت. وقال يونس بن عبيد: ما رأيت أحدًا لسانه منه على بال إلا رأيت ذلك صالحًا فى سائر عمله. وقال يحيى بن كثير: ما صلح منطق رجل إلا عرفت ذلك فى سائر عمله، ولا فسد منطق رجل قط إلا عرفت ذلك فى سائر عمله.

ولذا فلسان المسلم إما ذاكرًا لله تعالى، وإما داعيًا إلى الحق، وإما ناهيًا عن المنكر، وإما ناصحًا برشد، أو واعظًا بعلم، أو مبلغًا بأمانة، أو فاصلاً ومصلحًا بحق (أى بين الناس)، وعندئذ يكون كلامه ذكرًا، وصمته فكرًا وتدبرًا.

وفى المجتمع المسلم يتجنب أفراده آفات اللسان المتقدمة؛ لأنها معصية وزور وباطل، وتجد مقابل ذلك فى ضبط النفس، وصون اللسان، والدعوة للحق، والأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر أى أداء اللسان لوظيفته وفق يقين بأن كل لفظة يتلفظ بها يحاسب عليها المسلم ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [يونس: ٦١]. ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء: ٣٦].

وبعد أن رصدنا الأخلاق الذميمة السابقة – القسم الثالث – فإننا نؤكد أن نجاة المسلم وسلامته واستقامته وهدايته لا تتأتى إلا بتجنبه إياها، بتجنب ظلم العباد، وشهادة الزور، والغضب، والحسد، والعجب، والبخل، والفساد، والحقد، والغش، والمراء، وتجنب آفات اللسان. وطبيعى أن يقوم المسلم بخلافها بأن يعدل، ويقول الحق، ويكظم غيظه، ويتواضع، ويسخو، ويصلح، ولا يغش، ولا يحسد، ولا يمارى، ولا يكذب، ولا يغتاب ولا يخوض فى الأعراض .. إلخ .. وهكذا تتكامل الدائرة الإيمانية، ويتأكد الخلق الحسن لدى المسلم، إيجابًا وسلبًا، وأخذًا وتركًا، وعملاً وتجنبًا.

ونشير كذلك إلى أن الأخلاق التى تناولناها فى هذا القسم ليست هى كل الأخلاق الذميمة، فهناك الخيانة، وسوء الظن، والغدر، والتجسس، والاختيال، واحتقار المسلمين، والإسراف، والرشوة، والاستطالة على الخلق، والتطير والكهانة، واللطم والنياحة، والاحتكار، والعجز والكسل وإظهار الشماتة، والمن .. الخ.. بيد أننا – اتساقًا مع القسمين السابقين – اخترنا نماذج من كل قسم، وفق رؤيتنا واجتهادنا وليس تقديمًا للأهم على المهم.

وهكذا عرضنا إحدى عشرة صفة فى كل قسم، ركزنا فى القسم الأول على الأخلاق ذات الطابع الاجتماعى، وفى الثانى على الأخلاق الحسنة، التى تميل إلى الفردية شيئًا ما، أما القسم الثالث فقد ركزنا فيه على الأخلاق الذميمة، وبذا يكون مجموع ما تناولناه ثلاثة وثلاثين خلقًا إسلاميًا (أساسيًا حميدًا، وفرديًا حميدًا، وذميمًا) بخلاف ما أشرنا إليه فى التعقيب على كل قسم.

ولسنا فى حاجة إلى معاودة التأكيد على أن النسق الأخلاقى فى الإسلام – بأقسامه الثلاثة – لا تجد له نظيرًا فى أى دين آخر، سماوى أو وضعى. وهو نسق قويم، مستمد

من كتاب عظيم يهدى للتى هى أقوم، ومن أحاديث نبى كريم ﷺ صانه الله عن الضلالة والغواية. ولا صلاح للمجتمع المسلم إلا بالعودة إلى هذه الأخلاقيات، فهى أداة بناء وتقويم وهداية ورشاد، واستقامة حقة فى الدنيا، ونجاة من عذاب الآخرة، على نحو ما أوضحنا فى كل خلق.

وفى البناء القيمى والخلقى فى الإسلام نجد تفردًا آخر فى النظرة للعمل، وفى توسيع دائرة العبادة، ونجد أن هذا الأمر يحتاج منا إلى كثير تفصيل، وهذا ما سنعرض له فيما يلى:-

المبحث الثالث: دراسة تحليلية لقضية العمل فى الإسلام، من منظور البناء والبعث

لا تجد دينًا يحث على العمل، ويعلى من شأنه مثل الإسلام، فمفهوم العمل فى الإسلام لا يقتصر على الأعمال البدنية فقط كالزراعة والتجارة والصناعة، ولكنه يتضمن الأعمال القلبية[1] كالغضب والرضى والحسد والحقد وحب الخير للناس، والأعمال الفكرية مثل التأمل والتدبر والتفكر فى ملكوت السموات والأرض.

ويتسع هذا المفهوم ليشمل الأعمال الدنيوية، أى التى يؤديها المسلم تكسبًا ومعاشًا، طالما قُصد به وجه الله، وطالما تزامنت معه نية صادقة، فالإسلام يعتبر النية هى معيار تقويم الأعمال، وميزان رشدها وصلاحها، فإذا كانت طيبة كان العمل طيبًا، وإن كانت خبيثة كان العمل خبيثًا (وإنما لكل امرئ ما نوى).

ومن هنا فإننا نؤكد أن الإسلام لا يفصل بين العمل والإيمان[2] ولا بين العمل والعبادة، فقيمة العمل تعلو بإيمان يغذيه ويحميه؛ فكل عمل لا يقوم على إيمان صادق فهو محبط الأجر، ويجعله الله هباءً منثورًا . ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ

---

(١) الأعمال القلبية منها الحسن، ومنها السيئ (القبيح). ويدخل فى أعمال القلوب الهم بالعمل، ولعله من سعة رحمة الله أن نرى هذا الفضل العميم فيما رواه ابن عباس رضى الله عنهما عن رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى قال: « إن الله كتب الحسنات والسيئات، ثم بين ذلك: فمن هم بحسنة فلم يعلمها كتبها الله تبارك وتعالى عنده حسنة كاملة، وإن هم بها فعملها كتبها الله عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، وإن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله تعالى عنده حسنة كاملة، وإن هم بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة» [متفق عليه].

(٢) فى القرآن الكريم تجد مساواة بين العاملين والمجاهدين، فقد عذر اللهُ العمال – العاملين – الكادحين وأعفاهم من قيام الليل كالمجاهدين فى سبيله ﴿ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [المزمل: ٢٠].

هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان: ٢٣]. ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَـٰلًا ۝١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ [الكهف: ١٠٣- ١٠٤].

وليس ثمة فصل بين العمل والعبادة؛ فالمسلم لا تكتمل عبادته مهما أدى من صلاة أو صيام أو صدقات إذا كان يغش فى عمله، أو يأكل أموال الناس بالباطل، أو يهمل عملاً نافعًا للوطن. شعور المسلم بالمراقبة يجعله لا يفصل بين عبادته فى المسجد وبين عمله فى المصنع أو المتجر؛ فالله تعالى الذى يصلى له فى المسجد هو معه فى مصنعه. وينبغى أن تكون عبادته دافعة له لإتقان عمله وعون العبد فى إنجازها، ويقينه أنه مسئول أمام الله عما عهد إليه من حقوق وأعمال وأمانة تضاعف المسئولية عليه، ويشتد حسابه لنفسه.

ويجد المسلم نفسه فى عبادة دائمة؛ فعمله الدنيوى يبتغى به محبة الله ورضوانه، ففى تجارته ييسر على عباد الله، ولا يربح إلا حلالاً، وفى زراعته وصناعته يسهم فى بناء المجتمع المسلم، وفى تعليمه – متعلمًا أو معلمًا – يبتغى الحق والثواب، فالنية الصالحة تجعل العمل صالحًا مقبولاً عند الله تعالى يثاب عليه صاحبه.

ويقرر القرآن الكريم أن جزاء العمل الصالح هو الحياة الطيبة والسعادة فى الدنيا والآخرة ﴿ مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٧]. ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴾ [الرعد: ٢٩][1] .

كما قرن القرآن الكريم بين العمل وبين الجهاد فى سبيل الله، قال الله تعالى: ﴿ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [المزمل: ٢٠].

---

(١) المتأمل لآيات الذكر الحكيم يجد ربطًا بين الإيمان والعمل فى أكثر من خمسة وستين موضعًا، حيث يتقدم الإيمان على العمل فيها وبخاصة فى صيغتى (عَمل) و(عَملوا) وذلك مثل ﴿ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [الكهف: ٨٨]. ومثل ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ﴾ [البقرة: ٢٥].

ويلفت القرآن النظر إلى عنصر المراقبة فى كل أعمالنا، ووجوب الإخلاص فيها ﴿ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾ [يونس: ٦١].

وتتجه الوصايا النبوية إلى إعلاء قيمة العمل – بشتى صوره – والتأكيد على أن السعى فى طلب الرزق عبادة؛ قد تتفوق على العبادات المعروفة إذا أحسن أداؤها « إن من الذنوب ما لا يكفره إلا السعى فى طلب الرزق»[١] كما أنه وسيلة للمغفرة « من أمسى كالاً من عمل يده بات مغفورًا له»[٢] ونجد الربط بين العمل والجهاد فى سبيل الله فى قوله ﷺ عندما خرج عليه رجل قوى البدن مفتول العضلات فقال بعض الصحابة : لو كان هذا فى سبيل الله؟! فقال: « إن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو فى سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على ولد صغار فهو فى سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو فى سبيل الله»[٣] ونجد تكريم رسول الله للعمال « فقد جاء رجل ذات يوم فمد الرسول ﷺ يده ليسلم عليه، ولكن الرجل منع يده على السلام فسأله الرسول الكريم: لمَ منعت يدك عن السلام فأجاب الرجل يا رسول الله: يداى خشنتان وأخشى أن تؤذياك فسأله الرسول: وممّ؟ فأجاب الرجل: من أثر العمل يا رسول الله، فإذا برسول الله يرفع كلتا يدى الرجل، ويقبلهما قائلاً: كفان يحبهما الله ورسوله»[٤] .

ونجد تفضيلاً نبويًا لأوجه الخير المتصلة بالعمل والنفقة، وخاصة ما يتجه من ثمار ذلك إلى ذوى القربى « إنك لن تنفق نفقة إلا أجرت عليها، حتى ما تجعل فى فم امرأتك»[٥] .

وسنتوقف مع أحاديث مشابهة لهذا الحديث بعد قليل.

وحرصًا من الإسلام على أداء أفضل للعمل، فقد ألزم الحكومات وولاة الأمر بمساعدة العمال، وتيسير حياة كريمة لهم، والأخذ بأيديهم للسُّكنى المناسبة، وتزويجهم، وتسهيل نقلهم لعملهم. كما كفل حق التأمين إذا حدث عجز عن العمل، أو تقاعد لسبب ما.

---

(١) رواه الطبرانى فى الأوسط، وأبو نعيم فى الحلية عن أبى هريرة ﷺ .
(٢) رواه الطبرانى فى الأوسط من حديث ابن عباس رضى الله عنهما.
(٣) رواه الطبرانى فى معاجمه الثلاثة من حديث كعب بن عجرة ﷺ .
(٤) رواه الخطيب البغدادى من حديث أنس بن مالك ﷺ .
(٥) متفق عليه من حديث سعد بن أبى وقاص ﷺ .

وفى أحاديث النبى الكريم ﷺ نجد الدعوة الفريدة بتواصل العمل والغرس حتى وإن قامت الساعة « إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة، فاستطاع ألا تقوم حتى يغرسها؛ فليغرسها فله بذلك أجر»[1] ويؤكد الحديث حقيقة مهمة؛ وهى أنه ليس هناك طريق للآخرة اسمه العبادة، وطريق للدنيا اسمه العمل. وإنما هو طريق واحد للآخرة أوله فى الدنيا، وآخره فى الآخرة. وهو طريق لا يفترق فيه العمل عن العبادة، ولا العبادة عن العمل. فكلاهما شىء واحد، وكلاهما فى نظر الإسلام يسير جنبًا إلى جنب فى طريق واحد، وهو الطريق إلى العمل لله إلى آخر لحظات العمر، وإلى آخر خطوة من خطوات الحياة. وهذا تأكيد لقيمة العمل فى الإسلام، والحض عليه، وإعلاء قدره وإبرازه على أنه الطريق للآخرة؛ ولا طريق سواه.

وتجد فى فلسفة القرآن الكريم فى الربط بين طريق الدنيا والآخرة ما يعد ثوابت فى الفكر الإسلامى ﴿ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَا ﴾ [القصص: ٧٧]. ﴿ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِ ﴾ [الأعراف: ٣٢].

وثمّ درس عظيم نخلص إليه من الحديث الشريف والآيتين؛ فالدين ليس عزلة عن الحياة، وإنما هو صميم الحياة، فى النهج الإسلامى تسير حياتنا باسم الله: طعامنا وزواجنا وتعليمنا وعملنا. ولا فرق بين عمل للدينا وآخر للآخرة. المهم أن جلال العمل يحقق بتحقيق الصلة والاتصال بالله تعالى، وأن خدمة الآخرة لا يكون إلا بإصلاح الدينا، ولا وصول للآخرة إلا عن طريق تعمير الأرض وغرس الفسيلة[2].

وأنت ترى أن العمل فى الأرض لا ينبغى أن ينقطع لحظة واحدة، بسبب اليأس من النتيجة فقد بنى المسلمون وهم يؤمنون بدينهم ويعملون به أروع حضارات الأرض وأخلدها دون انحراف عن منهج الله.

---

(١) رواه أنس بن مالك ﷺ بإسناد حسن (الحديث ورد فى المنتخب) .

(٢) تعمير الأرض لا تحسبه عملاً دنيويًا؛ فهو عمل متصل بالتمكين فى الأرض، ويثاب عليه فاعله، وهذا العمل ينتقل مع صاحبه إلى قبره، ويظل ثوابه خالدًا مستمرًا جاريًا . يقول ﷺ: « سبع يجرى للعبد أجرهن وهو فى قبره بعد موته : من علم علمًا، أو كرى نهرًا، أو حفر بئرًا، أو غرس نخلاً، أو بنى مسجدًا، أو ورث مصحفًا، أو ترك ولدًا يستغفر له بعد موته» وهكذا فإن هذه الأعمال – بشقيها – قد نالت مثوبة وشرفًا وعظمة فى الجزاء.

وكان للزراعة نصيب كبير فى حضارة المسلمين، فالزراعة هى إخراج لخيرات الأرض، وإعداد لقوت الجماهير المسلمة؛ ولذا عدت ثوابًا، وفريضة لا ينبغى التفريط فيها؛ فهى عمل عمرانى يكفل مصالح العباد، ويشبع العانى والمحتاج؛ ولذا رفع الإسلام من شأنها، كما رفع من شأن التجارة؛ خدمة لاقتصاد المسلمين، فالتاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء. مثل الزراعة والتجارة كل حرفة يتكسب بها المسلم، ويقيم بها حياته؛ فأفضل الكسب عمل الرجل بيده وأفضل طعام يأكله المسلم إنما يكون من عمل يده؛ اقتداء بالأنبياء الذين عملوا وجاهدوا ونقبوا فى الأرض، ولم يبخلوا بجهد مادى[1] .

وعندما يضرب المسلم فى الأرض؛ كان مغبراً لقدميه وموجهاً لهما للعبادة (الصلاة)، أو موجهًا لهما فى أرجاء الحياة (العمل والكدح)؛ وكلاهما دين قويم، وصراط مستقيم، وكلاهما فى محراب الحياة الفاضلة.

وعندما ينفق المسلم، فليست صدقته هى العبادة فقط؛ فنفقته على نفسه وعلى أهله زكاة متقبلة « دينار أنفقته فى سبيل الله، ودينار أنفقته فى رقبة، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك، أعظمها أجرًا الذى أنفقته على أهلك»[2] .

وإنفاق المسلم على عمله إنما هو ثمرة كفاحه وكده؛ ولذا نجد دعوات صريحة فى القرآن العظيم بالسعى فى مناكب الأرض، وأخذ الطيبات من الرزق، والأكل مما عملته

---

(١) الثابت أن أنبياء الله كانوا يعملون ويحترفون مهنًا، وقد كان رسول الله ﷺ صاحب طاقة كبيرة على العمل والحياة؛ مهما تباينت الظروف واختلفت الأحوال؛ فقد رفع الأحجار مع أصحابه فى بناء المسجد وفى حفر الخندق. وقد علّم أصحابه أن الاستسلام لشهوات البطن سقوط بهمة المسلم، وخور فى عزيمته، وضعف فى يقينه، وتغلب للشيطان؛ ولذا يقول ﷺ واصفًا هؤلاء المتخمين العاجزين عن العمل: « إن القوم لما شبعت بطونهم سمنت أبدانهم، فضعفت قلوبهم، وجمعت شهواتهم» وقال: « إنما أخشى عليكم شهوات الغى فى بطونكم وفروجكم ومضلات الهوى» وقال: « إن شرار أمتى الذين غُذوا بالنعيم، وبنيت عليه أجسامهم».

(٢) رواه مسلم عن أبى هريرة ﷺ . والحديث لا يقلل من شأن الإنفاق فى وجوه الخير – التى فصلها – فهذا الأمر حسمته الأحاديث الأخرى. وإنما المقصود هو كفالة الأسرة، ورعاية الآخرين وإعداد النشء الصالح، وتكوين البيت المسلم، وتوفير حاجاتهم، وإغناؤهم عن السؤال والتسول، وإعفافهم وهكذا يكون الإنفاق على الأهل أشبه بالجهاد فى سبيل الله. ومن عظمة هذا الدين توجيهه العناية للأسرة المسلمة، وتزكية ملكاتها، وتنسيق إنتاجها، ونقلها إلى حالة القوة والعطاء بدلاً من الضعف والوهن، والارتقاء بمستواها، ودفعها للعمل والإنتاج بدلاً من العجز والتسول وانتظار عطاء الآخرين.

الأيدى، وتحبيب العمل، ومحاربة العجز والكسب والفقر، فأعظم الصدقة أجرًا، «أن تصدَّق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى»[1] .

بل يمتد أجر العمل، ليس وقفًا على الأهل – ليشمل أنواعًا من المخلوقات، أصابت شيئًا من نتاج عمل المسلم، وثمار ما غرست يداه «فلا يغرس المسلم غرسًا فيأكل منه إنسان، ولا دابة، ولا طير إلا كان له به صدقة إلى يوم القيامة»[2].

ولأن عمل المسلم يعد معروفًا؛ لأنه به يصون نفسه، ويخدم غيره، وينفع المجتمع المسلم، فإنه مثاب على ذلك لقوله ﷺ : « كل معروف صدقة»[3] .

ولأنه لا يحدث تقدم ملموس فى المجتمع المسلم إلا بالعمل والجد والكد، فإننا نتساءل: هل ثمة تعارض بين الرفاهية وبين الإسلام؟

والحق أن الإسلام يقدم معايير للتقدم والرفاهية، متصلة بإقبال الدنيا وزينتها والخير الوفير والرزق منها قوله ﷺ: « إن مما أخاف عليكم من بعدى ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها، إنه لا يأتى الخير بالشر، وإن مما ينبت الربيع ما يقتل حبطًا، أو يلم. وإن هذا المال خضرة حلوة؛ فمن أخذه بحقه، ووضعه فى حقه، فنعم المعونة هو، ومن أخذه بغير حقه كان كالذى يأكل ولا يشبع، ويكون شهيدًا عليهم يوم القيامة»[4] .

ونلتمس جانب التقدم والرفاهية فى الحديث، إلا أنه تقدم إلى الأسوأ، وذلك حينما توضع الأمور فى غير موضعها، وحينما تكثر النعم، وتقبل الدنيا، وتستشرى القمة، ولا يؤدى حق الله . وهذه هى الرفاهية المذمومة.

ولكن عندما تؤدى الحقوق، ويعطى الفقراء حقهم، ويكون الاعتدال وعدم الإسراف والتوسط هو نمط الحياة فإن الرفاهية هنا محمودة؛ لأنها تسير وفق منهج الله تعالى، ولا تتغلب فيها الملذات والشهوات والتخمة.

---

(١) رواه الشيخان وغيرهما عن أبى هريرة ﷺ .

(٢) رواه مسلم عن جابر بن عبد الله ﷺ .

(٣) رواه البخارى بن عبد الله ﷺ .

(٤) رواه البخارى ومسلم عن أبى سعيد الخدرى ﷺ . والحبط: امتلاء البطن بالطعام والتُّخمة. أو يلم: أى يقارب الموت.

والحديث المتقدم – لا يبتعد كثيرًا عن وصف لواقعنا الإسلامى، إذ نرى دولاً قد أكلت وأتخمت، وأخرى وصلت لحد من الفقر والجدب يدمى القلب، دون أن تأخذ حظها من أصحاب الوفرة. والشىء نفسه داخل البلد المسلم الواحد، إذ ترى أصحاب السيارات الفارهة والقصور الفخمة فى نعيمهم، وبجوارهم أو أمامهم أو خلفهم من لا يملكون قوت يومهم، ولا يكادون يتاح لهم حد الكفاف، وأدنى وسائل العيش اليسير.

وثمّ حديث آخر، يعضد المعنى السابق، ويصف واقعنا، ويزيده وضوحًا «والذى نفسى بيده ليفتحن عليكم فارس والروم، ولتصبن عليكم الدنيا صبًا، وليكثرن عندكم الخبز واللحم حتى لا يذكر على كثير منه اسم الله»[1] .

والحديث يقدم أمثلة للرفاهية، فى زيادة الدخل العام والفردى؛ وفى وفرة الغذاء النباتى والحيوانى، وفى انتشار الترف فى الطعام، وفى مقابل ذلك نسيان الخالق سبحانه، وعدم التحدث بنعمه، وهذا النوع من الرفاهية، الذى يكثر فيه النعيم، وينسى فيه المنعم، هو مذموم ولا شك.

والإسلام لا يعارض الرفاهية، التى تؤدى فيها الحقوق والواجبات، والتى لا يخدع فيها بمظاهر الدنيا، والتى لا يرتبط فيها النعيم بالغفلة والنسيان.

وهنا نقرر أن الدنيا بصورتها التى رسمها الحديث، دنيا الرفاهية المذمومة والغفلة والبلادة والذهول عن الواجبات، والجرى وراء الشهوات – مذمومة؛ لأنها مشغلة عن العمل الحق وعن ذكر الله، وغير دافعة للإنتاج والتقدم، وملهاة عن الآخرة، ولا يتعلق بها إلا البخلاء والجبناء وطلاب الظهور والمنافقون ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَـٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَـٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [هود : ١٥-١٦].

وتكون غير مذمومة، عندما تكون مزرعة طيبة للآخرة، ومرفدًا للعمل الصالح، وسبيلاً للتزود من الخير والطاعات، والتغلب على الشيطان، ومحاربة الشهوات، وعندما يصفو القلب لله، وينقى العمل من الرياء، وتصدق النوايا مع الله ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ

(١) رواه الطبرانى عن عبد الله بن يسير ﷺ .

ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقـــرة: ٢٠١]. ﴿ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْآخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٨].

وفى نهاية تناولنا لقضية العلم فى الإسلام فإننا نرصد أمرين على قدر من الأهمية:

أولاً: الجزاء عند الله تعالى ليس على حجم العمل أو نوعيته، بل على درجة الإخلاص والإحسان فيه، وأن العمل مهما صغر فإن المسلم مثاب عليه، ويدخل فى نطاق العبادة، ويجسد ذلك قوله ﷺ: « كل سُلامى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس، تعدل بين الاثنين صدقة، وتعين الرجل فى دابته، فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة، وتميط الأذى عن الطريق صدقة»[1] .

فالأعمال التى تحسبها صغيرة هى عظيمة عند الله تعالى، فإفراغك من دلوك فى دلو أخيك، وتذليل صعاب الطريق، ومساعدة الرجل فى ركوب دابته أو متاعه كلها صدقات؛ تعدل الصلاة والكلمة الطيبة.

ثانيًا: الغاية من حياتنا على العموم هى عبادة الله تعالى، وبذا يلزمنا أن تأتى أعمالنا على أنها عبادة لله تعالى فأعمالنا العملية هى تحقيق للعبادة، وعندما نأتيها بوعى، ونأتى كل أعمالنا الإنسانية – الروحية والمادية دون فصل – مقرونة بإيمان ونية ويقين أن هذا العمل عبادة حقة.

ورغم أن الاصطلاح جرى على أن العبادة هى العبادات المشروعة كالصلاة فهذا المعنى خاص، أما معناها العام فهو كل قول أو عمل أو فعل للمسلم، تتجه فيه النية إلى الله، ويدخل فى هذا العمل الدنيوى – كما أشرنا – وإن كان فيه حظ النفس والشهوة وقضاء الوطر، فهذا يدخل فى العبادة « وفى بضع أحدكم صدقة قالوا: يا رسول الله أياتى أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: أرأيتم لو وضعها فى حرام أكان عليه وزر فكذلك إذا وضعها فى الحلال كان له أجر»[2] .

ونقرر هنا أن كل أعمال المسلم وأقواله تأخذ طابع العبادة، ولو كانت محض أعمال دنيوية كالأكل والشرب والسعى فى طلب الرزق؛ ما دامت نية الطاعة وراء هذا كله.

---

(١) رواه الشيخان وغيرهما عن أبى هريرة ﷺ . والسُّلامى أى العضو.

(٢) رواه مسلم عن أبى ذر الغفارى ﷺ . والبضع أى الجماع.

بل إن الامتناع عن فعل المحرمات يدخل فى معنى (العبادة) أيضا، إذا توافر الشرط السابق، وهذا نوع من العبادة السلبية؛ ففى حديث النفر الثلاثة[1] الذين كانوا فى الغار، وأغلقته صخرة من الجبل، حين استشفع ثانيهم بامتناعه عن الزنا بابنة عمه؛ التى كان يحبها أشد الحب لما ناشدته الله، فامتنع طاعة لله وابتغاء مرضاته، وبذا يكون الامتناع عبادة، أثيب عليها فاعلها.

وهنا تكون حياة المسلم كلها تحقيقًا لمعنى العبادة بمفهومها الواسع الشامل، وهو بعض ما يفهم من قوله تعالى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]. ولا تتحقق الحياة الصحيحة عندما يُفصل فيها الدين عن الحياة، وعندما يقتصر فهم العبادة على العبادات المخصوصة، وعندما يقتصر فهم العمل على أنه العمل الدنيوى فقط.

وهكذا رصدنا قضية العمل فى الإسلام والمضمون التعبدى لها، والرؤية الشمولية للإسلام فى ذلك فإننا نؤكد أننا ركزنا على الجانب القيمى والأخلاقى للعمل فى الإسلام، وأن معالجتنا استهدفت تبيان وجه الحق فى رؤية الإسلام للعمل وربطه بالعبادة، والحث عليه كقيمة خلقية فردية وجماعية، به تتحقق قوة المسلم، واليد العليا تكون له دائمًا، وبه ينهض المجتمع المسلم، ويقيم حضارته على أسس إيمانية، وعلى فهم رشيد ليقيم العمل والإنتاج فى الإسلام.

وللإسلام نظرته القيمية للمال؛ وهى تتكامل مع رؤيته الواسعة للعمل، وتحقيقًا للترابط فى معالجة المنظور القيمى والأخلاقى فى الإسلام، وللتكامل فى التناول، فإننا سنعرض لقضية المال فى الإسلام.

المبحث الرابع: الجانب القيمى والاجتماعى للمال فى الإسلام

نقرر بداية أن المال ليس غاية فى ذاته، وإنما هو وسيلة من وسائل قضاء الحوائج، وتحقيق المآرب، فمن استعمله فى هذا السبيل كان خيرًا له وللمجتمع؛ ولذا يقول ﷺ: «نعم المال الصالح للرجل الصالح»[2] .

(١) رواه الشيخان عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما، وهو حديث عظيم المعنى والفائدة.

(٢) رواه أحمد بن حنبل فى مسنده من حديث عمرو بن العاص ﷺ .

وقد عدّ القرآن الكريم المال من الشهوات، التى زينت للناس ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾ [آل عمران : ١٤]. وعـدّه زينـة كذلك ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ [الكهف : ٤٦].

ولا يمكن إغفال قيمة المال للعمل الإسلامى ولحركة المجتمع، فقد قيل لحكيم: لم تجمع المال وأنت حكيم؟ فقال: لأصون به العِرض، وأؤدى به الفـرض، وأسـتغنى بـه عن القرض.

وقيل لأحد الصالحين: لمَ تحب الدراهم والدنانير؟ فقـال: هـى وإن أدنتنـى منهـا، فقد صانتنى عنها. وكان أحد الصالحين يقول: اللهم ارزقنى حمدًا ومجدًا، فإنه لا حمد إلا بفعال، ولا مجد إلا بمال.

وبذا فإنه بالمال، تصان العروض، وتحفظ الكرامـة، وتوصـل القربـات، ويُواسـى الفقـراء، ويتحقـق الإحـسان، ويـساهم فى أعـمال الـبر والخـير، وتربيـة الأولاد تربيـة صحيحة كما يستطيع المال أن يفعل الكثير فى مجال الدعوة وتبليغ الرسالة، فالمال المزكـى المطهر المقبول عند الله يساهم بفاعلية فى إنشاء جيل جديد قوى متماسك؛ يملـك جميـع أسباب القوة، وبه تستطيع الدعوة أن تصمد أمام الحوادث[1] .

والحق أن للمال سلطانًا متمكنًا من النفوس، وطغيانًـا مـدمرًا لكثـير مـن النـاس؛ الذين يلهيهم المال؛ ويذهب بهم مذاهب التيه والكبرياء؛ وقد يدفعهم ذلك إلى اسـتعباد الناس أو إذلالهم، مما يستوجب غضب الله تعـالى وسـخطه، وهـذا مـا نجـده فى قـصة قارون؛ الذى آتاه الله المال؛ فتكبر وفـرح وطغـى وتعـالى فكانـت عاقبتـه ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ

(١) رغم قيمة المال فى مجال الدعوة لتلبية حاجات المجتمع المسلم، إلا أنه مهما تضخم وتكدس، فإنـه لا يمـلأ الفراغ المعنوى والروحى والفكرى، ولا يغنى عن مسحات الفكر، وتأملات العقل كما لا يغنى عن الفكر الدقيق ولا عن الرأى السديد، ولا يجبر كل كسير، ولا يسد كل عوز، ولا يملأ كل فراغ.

وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴾ [القصص: ٨١].

ودعوة الإسلام لعدم الاغترار بالدنيا والزهد فى زينتها والإقلال من شأنها، وتوجيه الانتباه للآخرة واعتبار المال فتنةً، ليس معناها إهمال قيمة المال فى حياة المسلمين وفى ركب الحياة؛ أو الدعوة للفقر العام؛ فالنصوص التى أكدت المعنى السابق – الدعوة السابقة – على كثرتها؛ لم تُغفل الأثر الطيب للمال عندما يوظف توظيفًا جيدًا، وهذا ما نجده فى الأحاديث التالية «فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكنى أخشى عليكم أن تبسط الدنيا كما بسطت على من قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم»(١)، «إن مما أخاف عليكم من بعدى ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها»(٢)، «إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء»(٣)، «ما الدنيا فى الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه فى اليم فينظر بم يرجع»(٤)، «انظروا إلى من هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فهو أجدر ألا تزدروا نعمة الله عليكم»(٥)، « إذا نظر أحدكم إلى من فضل عليه فى المال والخَلْق فلينظر إلى من هو أسفل منه»(٦)، «ازهد فى الدنيا يحبك الله وازهد فيما عند الناس يحبك الناس»(٧)، «كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل»(٨)، « إن لكل أمة فتنة، وفتنة أمتى: المال»(٩)، «يقول ابن آدم: مالى مالى، وهل لك يا بن آدم من مالك إلا ما أكلت

(١) رواه الشيخان عن عمرو بن عوف الأنصارى ﷺ .
(٢) رواه الشيخان عن أبى سعيد الخدرى ﷺ .
(٣) رواه مسلم عن أبى سعيد الخدرى ﷺ .
(٤) رواه مسلم عن المستورد بن شداد ﷺ .
(٥) رواه مسلم عن أبى هريرة ﷺ .
(٦) رواه البخارى عن أبى هريرة ﷺ .
(٧) رواه ابن ماجه عن سهل بن سعد الساعدى ﷺ .
(٨) رواه البخارى عن ابن عمر رضى الله عنهما.
(٩) رواه الترمذى عن كعب بن عياض ﷺ .

فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت»[1]، « اطلعتُ فى الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء»[2].

وغير ذلك من أحاديث الرسول الكريم ﷺ - فى نفس المعنى السابق – ومما نجده فى أقوال الصحابة والسلف [3] بيد أننا لا يفوتنا أن نعقب على الأحاديث المتقدمة مؤكدين؛ أن الدنيا عندما تُقبل علينا فنؤدى حقوق الله تعالى، وننصر المظلوم، ونغيث المستغيث، ونساعد المحتاج، ونقوم بواجبات الخلافة فى الأرض فعندئذ لا تكون مذمومة، ولا يخشى من إقبالها، وهذا ليس معناه أن يكون جمع المال هو غايتنا كى نحقق ما تقدم بعد أن تكون استنفدنا طاقتنا الإيمانية والعلمية فى ذلك، ولا أن تكون الدنيا هى بغيتنا وهدفنا. ولكن فى أعمال الخير والبر والعطاء نجعلها موضعًا لتحقيق هذه الأعمال، فإن أدرك المسلم نعيمها ومالها – بعد عمل وأخذ بالأسباب – فعليه أن يتقى الله فيما استخلف فيه، وإن لم يدركه ذلك فعليه أن ينظر إلى من هو أقل منه مالاً حتى يحمد الله على ما أعطاه. وعليه ألا يستكين أو يركن إلى مقام الفقر واليد السفلى.

فالمسلم يحكمه إيمان عميق بدنو الأجل والضيافة فى الدنيا واغتنام الخير فيها؛ ولذا فإنه إن أعطى المال فهو يوقن أنه فتنة؛ وعليه أن يتغلب بعزيمته الإيمانية وأن يسمو بنفسه وأن يرقى بروحه عن الاغترار به أو تسلطه على نفسه، وإن لم يعط المال فعسى أن يكون ذلك خيرًا؛ لأنه ربما أعطى المال فلم يقم بواجباته، وقد يفسد حاله، ويتزلزل كيانه؛ ولذا لم يخش رسول الله ﷺ على أمته من الفقر مع أنه موجع للناس، ومذُل للنفس، ولكنه خشى من أن تُبسط لهم الدنيا؛ فيتنازعوا فيها تنازع الوحوش، وتشتعل بينهم العداوة والبغضاء، ويُذكرنا الرسول الكريم بأن الغنى الحقيقى ليس بكثرة المال ولا علو المنصب والمكانة؛ فهذا غنى زائل؛ لأنه عرض من أعراض الدنيا (ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس)[4].

---

(١) رواه مسلم عن عبد الله بن الشخير ﷺ.

(٢) رواه البخارى عن عمران بن الحصين ﷺ.

(٣) يمكن للقارئ الكريم الاستزادة من ذلك من كتاب (جامع العلوم والحكم) لابن رجب الحنبلى، فى تفسير الحديث الأربعين (كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل) ص ص ٣٥٦ -٣٦٤.

(٤) رواه الشيخان عن أبى هريرة ﷺ.

ويعجب المرء كثيرًا عندما يقرأ فى كتب الصوفية؛ فيرى نزعة قوية تميل إلى بغض المال وتجنب الزهد فالمحاسبى – وهو قدوة للصوفية – كان من أعداء المال، ولم تكن عداوته للمال عداوة هنية؛ لأنه ضرب على الوتر الحساس حين ذكر المسلمين بفقر الرسول الكريم، وهو يتخذ فقره ﷺ حجة على شر الغنى وإضراره بخير الدنيا والدين.

« والحق أن النبى الكريم لم يفكر فى إصلاح دنياه؛ لأنه شُغل بتبليغ الرسالة، ومن المعقول أن يلوذ الأنبياء بالفقر، ليتفرغوا لدعوتهم ورسالتهم.. ولكن كيف يصبح الفقر شريعة؟ أو كيف يصير من واجب الناس أن يعيشوا فقراء؟.

فالفقر خُلقةٌ بشعة؛ لا يطمع فى التعرف إليها رجل كريم؛ لأنه البلية العظمى، والنكبة الكبرى، والبلاء الماحق، والشر الملعون، وهو أقبح الصفات التى تنزه عنها الله عز وجل»[1] .

والأحاديث التى ذمت الدنيا وهونت من شأنها، لا يفهم منها تعطيل العمران، أو رفض المال، والانزواء فى الأرض؛ فتقوى الدنيا فى الحديث «اتقوا الدنيا» يكون بطرح الشر فيها، وعدم الاغترار بها، وفهم حقيقتها. والإسلام عندما يذم الحياة الدنيا فذلك ليضمن حدود الاعتدال فيها، ويحجز الغرائز الجامحة بالأثرة والغى والفساد، وتأكيد على أن الدنيا تليها حياة أعظم وأبقى وأخلد ﴿ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٤].

وهكذا فإن الإسلام لا يبغض الدنيا لذاتها، وإنما يبغض الانكباب عليها، والتناحر من أجلها، وجمع بعضها على بعض، دون نظر إلى من أين أتت، ولا أين تنفق.

ولكى يتجاوز المسلم فتن الدنيا والمال، ولكى يعلو عليهما، حبب الإسلام إليه خُلق السخاء والكرم والإنفاق فى سبيل الله، وهذا ما نجده فى الأحاديث التالية « لو كان لى مثل أُحد ذهبًا لسرنى أن لا تمر علىّ ثلاث ليال وعندى منه شىء إلا شىء أرصده لدين»[2]، « يا بن آدم إنك إن تبذل الفضل خير لك، وإن تمسكه شر لك، ولا تلام على

(١) محمد الغزالى: كيف نفهم الإسلام؟ مرجع سابق، ص ص ٥٤-٥٥ .
(٢) رواه الشيخان عن أبى هريرة ﷺ .

كفاف، وابدأ بمن تعول، واليد العليا خير من اليد السفلى»[1]، «ما من مسلم يكسو مسلمًا ثوبًا إلا وكان فى حفظ الله ما دام عليه منه خرقة»[2]، « ما تصدق أحدٌ بصدقة من طيب – ولا يقبل الله إلا الطيب – إلا أخذها الرحمن بيمينه. وإن كانت تمرة فتربوا فى كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل كما يربى أحدكم فلوه [مُهره الصغير] أو فصيله»[3]، « .. وإن هذا المال خضر حلو ونعم صاحب المال هو لمن أعطى منه المسكين واليتيم وابن السبيل»[4]، « وإنك لن تنفق نفقة تبتغى بها وجه الله إلا أجرت بها حتى ما تجعل فى فى – فم – امرأتك»[5] .

فقناعة المسلم بأن المال مفقود؛ فإنه يدخره عند الله تعالى، ويقل حرصه عليه، وإن كان مُوسعًا عليه فى الرزق فينبغى أن يكون حاله السخاء واصطناع المعروف، والتباعد عن الشح والبخل، وهذا ما أوضحناه فى حديثنا عن ذميمة البخل فى القسم الثالث.

ولعلنا نخلص إلى تقديم رؤية شمولية للمال فى الإسلام، وفى النقاط التالية:

١ – المال فيه خير وشر؛ ومن عرف فوائده وغوائله؛ أمكنه أن يحترز من شره ويستدر من خيره – على نحو ما قاله الإمام الغزالى – الذى حصر فوائده الدينية فى ثلاثة أنواع هى النفقة على النفس والأهل، والصدقة، والخير العام. وحصر آفاته الدينية فى جره للمعاصى، والتعلق به، وملهاة صاحبه عن ذكر الله، وله آفاته الدنيوية كالخوف والحزن والغم والهم والتعب فى دفع الحساب، وتجشم المصاعب فى جمع المال وحفظه.

كما أن المال خُلق لحكمة، وهو صلاحه لحاجات الخلق؛ فيمكن إمساكه عن صرفه إلى ما خُلق الصرف إليه، ويمكن التصرف فيه بالعدل، وهو أن يحفظ حيث يجب الحفظ، ويُبذل حيث يجب البذل؛ فالإمساك حيث البذل بخل، والبذل حيث الإمساك تبذير، والتوسط بينهما محمود بين الإسراف والإقتار وبين البسط والقبض.

---

(١) رواه مسلم عن صدى بن عجلان ﷺ .
(٢) رواه الطبرانى فى الكبير عن ابن عباس رضى الله عنهما.
(٣) رواه الشيخان وغيرهما عن أبى هريرة ﷺ .
(٤) رواه الشيخان والنسائى عن أبى سعيد ﷺ .
(٥) رواه الشيخان وغيرهما عن سعد بن أبى وقاص ﷺ .

٢- ليس ثمة تناقض بين دعوة الإسلام إلى اتقاء الدنيا والزهد فيها، وبين دعوته للعمل والإنفاق والسخاء والكرم، وليس هناك تناقض بين القيام بواجبات الاستخلاف وبين الاغترار بالدنيا، فالعرب والمسلمون لم يعزفوا عن الدنيا - قديمًا - ولم ينصرفوا عن علومها، ولو كانوا كذلك ما قامت لهم دولة ولا كيان. وبذا لا نتفق مع أفكار المتصوفة التى شأنها شل حركة المسلمين وتخلفهم، وذلك بالإعراض عن الدنيا ومنافاة ذلك لطريق الله على حد قولهم.

٣- يدعو الإسلام إلى كسب المال من طريق الحلال، وإنفاقه فى وجوه الخير، وفرض على صاحب المال إخراج الزكاة منه، سواء كان نقدًا أو أنعامًا، أو زرعًا، أو ركازًا. وللمال شأن عظيم فى إقامة المجتمع القوى، القادر على حماية نفسه، القادر على مد العون لكل المسلمين.

٤- تمتلك البلدان الإسلامية ثروة عظيمة من البترول، الذى يتفجر من باطنها، وجمع الله لها أسباب القوة المادية، وبالطاقة والمال تستطيع نشر دين الله، ونصرة باقى المسلمين، ومساعدة الجياع من إخواننا فى البلاد الأفريقية، وتسخير هذه الإمكانات فى تقديم صورة مشرقة لدين الله، وتبليغه لكل دول العالم بوسائل العلم الحديث، وبالإذاعات الإسلامية التى تتصدى للغزوات التبشيرية، وبهذه النعمة التى أنعم الله بها على هذه البلدان تستطيع أن تعطى وتساعد وتعاون، وتستطيع أن تكون ذات قرار فى القضايا العالمية، وتستطيع أن تعلى كلمة الله، وأن تكون صاحبة اليد العليا دائمًا.

تعقيب وتعليق:

ناقشنا فى هذا الفصل المنظور القيمى والأخلاقى فى الإسلام كأحد مقومات البعث، مؤكدين على فعالية الأخلاقيات فى حياة المسلمين، وفى أى نهضة حضارية لهم، وذلك فى أربعة مباحث رئيسة:

فى المبحث الأول: عرضنا للجانب الأخلاقى ومضامينه فى الإسلام، وذلك من خلال تأصيل نظرى لقضية الأخلاق فى الإسلام، وبيان فضل حسن الخلق وعلاماته، ورصد العلاقة بين العبادات والأخلاق، وبين الإيمان والأخلاق، وبيان الرؤية الشمولية للأخلاق فى الإسلام، ومدى تأثر الشخصية المسلمة بذلك، وإبراز رؤيتنا لفاعلية الأخلاق فى النهضة الإسلامية.

أما المبحث الثانى فقد قدمنا فيه تصنيفًا للمنظومة الأخلاقية فى الإسلام من خلال أقسام ثلاثة، قدمنا فى كل قسم أحد عشر خلقًا منها وذلك فى الأخلاق الأساسية فى البناء الاجتماعى والعلائقى للمجتمع المسلم، وفى الأخلاق الفرعية الحميدة، ثم الأخلاق الذميمة، وقد أكدنا فى كل خلق منها على أثره فى سلوك المسلم كفرد، وفى المجتمع المسلم كجماعة.

وأما المبحث الثالث فتناول دراسة تحليلية لقضية العمل فى الإسلام، من منظور البناء والبعث، فأوضحنا علاقة العمل بالعبادة، وبينا فاعليته للمجتمع، ورصدنا أوجه الخير المتصلة بالعمل، وفلسفة القرآن فى الربط بين الدنيا والآخرة. ثم قدمنا معايير التقدم والرفاهية فى الإسلام، وخلصنا إلى رؤيتنا للمضمون التعبدى والجانب القيمى فى قضية العمل.

وفى المبحث الرابع: عرضنا للجانب القيمى والاجتماعى للمال فى الإسلام، وذلك ببيان رؤية القرآن الكريم للمال وقيمة المال للعمل الإسلامى، والتأكيد على أن ذم المال والدنيا إنما يكون عند الاغترار بهما وتقديمهما على ما عداهما ثم ناقشنا رأى الصوفية فى المال، وبيان ضرر الفقر على المجتمع المسلم، وخلصنا إلى رؤيتنا للمضمون القيمى والحركى للمال فى الإسلام.

وهكذا .. رأينا الصرح الشامل المتكامل للأخلاق الإسلامية، وأنه لم يبق جانب من جوانب الحياة الإنسانية إلا وقد صاغه الإسلام صياغة أخلاقية؛ بحيث ترى هذه الأخلاق التامة الكاملة قد جمعت كل خلق حسن، ونبذت كل خلق سيئ، وبمقدار ما يأخذ الإنسان من الأولى يرتفع، وبمقدار ما يدنو من الثانية يهبط. وتصفو الشخصية الإسلامية وترقى كلما تجدها متمسكة بالأخلاق الإسلامية، وعندما تحيا الأخلاق الإسلامية من جديد نستعيد بذلك سلوكيات أجيال السلف، ويكون ذلك بداية لنهضة إسلامية حقيقية.

ومناقشتنا للجانب القيمى والأخلاقى فى الإسلام، وتأكيدنا على المضامين الأخلاقية فى الإسلام كمنطلقات للبعث والنهضة يستتبعه تناول الجانب العلمى والتعليمى والإعلامى فى الإسلام كأحد ركائز البعث؛ وهذا ما نفصله فى الفصل التالى.